



لفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور

عبد السلام بن سالم السحيمى

أستاذ الفقه بالجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي

اعتنت به الفقيرة إلى عفو ربها

أم عبادة الليبية المرجاوية

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المُقدِّمَــة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فمن أهمّ مصنفات شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الاعتقاد "رسالة كشف



الشبهات" والَّتي كتبها رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ جوابًا عمّا أورده خصوم الدعوة السلفية من شبهات واعتراضات، واشتهرت هذه الرسالة بِهذا العنوان "كشف الشبهات" وكشف الشيء: إظهاره، فتقول كشف الشيء: أظهر عنه ما يوريه أو يغطيه.

والشبهة لغة: الالتباس، والشبهات: ما يلتبس فيه الحق بالباطل والحلال بالحرام على بعض الناس، و النظر فِي الشبهات لا ينبغي مخافة الوقوع فيها فالنظر فيها ليعرفها لينكرها أو يحذّر منها وإلّا فهي شر؛ وقربان الشَّر شَرٌّ، فالكشف إذن لغة: رفع الشيء عمّا يواريه ويغطيه.

قال الفيومي فِي المصباح المنير:" الشبهة فِي العقيدة المأخذ الملبس، سميت شبهة؛ لأنها تشبه الحق."

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:" الشبه التي يضل



بها بعض الناس وهي ما يشتبه فيها الحق بالباطل"، وقال أيضًا: "لا يشتبه على الناس الباطل المحض؛ بل لابد أن يشابه بشيء من الحق"، وقال الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:" الشبهة إذا كانت واضحة البطلان لا عذر لصاحبها فإن الخوض معه فِي إبطالها تضيع للزمان وإتعاب للحيوان"، فرسالة كشف الشبهات تعني: بإزالة الاعتراضات والإشكالات فِي توحيد الإلهية، فهي أجوبة محكمة عمّا قد يشتبه على كثير من الناس فِي هذا الباب العظيم لا سيما أنّ طريقة المتكلمين فِي هذا الباب أي: باب التوحيد أنّ التوحيد المطلوب عندهم هو توحيد الربوبية، ولهذا يجعلون أوّل واجب على العباد النظر أو القصد إلى النظر أو الشك كما هي أقوال عندهم، فإثبات توحيد الربوبية وأنَّ الله جَلَّ وَعَلا هو الواحد فِي ربوبيته هذا

هو التوحيد عندهم، وليس هذا هو المقصود بالتوحيد الّذي عليه اهل التوحيد على الحقيقة، ولهذا نجد أتباع الرسل عليهم السلام وأتباعهم الذين قفوا واتبعوا أثر سبيلهم وأثر السلف الصالح نجد عندهم من براهين توحيد الإلهية ما فيه التفصيل يعيدون الكلام فيه، ويبدؤون ويكررون لأجل تثبيته وإقامة الحجَاج والحجة على العباد، أمّا غيرهم فإنهم يتوسعون فِي أبواب توحيد الربوبية ولكن من عبِد الله وحده جَلَّ وَعَلَا لا شريك له فإنّه بذلك يكون مقرًّا بربوبيته وحده دون ما سواه بخلاف من وحّد الله فِي ربوبيته فإنّه قد يعبد معه آلهة أخرى كما فعل أهل الجاهلية فإنهم يوحدون الله فِي كثير من أفراد الربوبية ولكنهم مع ذلك مشركون، والمقصود أنّ غاية بعث الأنبياء والمرسلين هو تحقيق توحيد العبادة وإقامة الحجّة فيه الشبه وإيضاح الدلائل فيه بالتفصيل

وإيضاح أفراده كما قال تعالى :"وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ"[النحل_٣٦]، فالدعوة إلى التوحيد هي ميراث الأنبياء والمرسلين والتوحيد إلى الله أو توحيد العبادة يكون بجهة مجملة ومفصلة ولابد من الدعوة التفصيلية؛ لأنّ الدعوة المجملة دون تفصيل المشترك قد يتفق عليها الكثير، أمّا التفصيل فهذه الّتي يتحقق فيها المعرفة التّامة الصحيحة ويعرف بها ما يضاد التوحيد والدعوة إلى التوحيد، ولهذا قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:" وعليك بالتفصيل والتبيين فالإجمال والإطلاق دون بيان قد أفسدا هذا الوجود"، فالدعوة إلى التوحيد_ والتوحيد هو: إفراد الله بالعبادة، وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، والتوحيد يكون بإفراد الله عَزَّ وَجَلَّ بأعمال القلوب وأعمال الجوارح .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال المُصنّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

"اعلم رحمك الله.. أن التوحيد هو إفراد الله سبحانه بالعبادة، وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده.. فأولهم نوح عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أرسله الله إلى قومه لمَّا غلوا فِي الصالحين ودٍّ، وسواع، ويغوث، ونسرٍ. وآخر الرسل محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين، أرسله الله إلى أناس يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيرًا، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله. يقولون نريد منهم التقرب إلى الله ونريد شفاعتهم عنده مثل الملائكة وعيسى ومريم وأناس وغيرهم من الصالحين. فبعث الله محمدا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجدد لهم دين



أبيهم إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق لله لا يصلحُ منه شيء لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل فضلا عن غيرهما. وإلا فهؤلاء المشركون يشهدون أن الله هو الخالق وحده لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يحيي ولا يميت إلا هو ولا يدبر الأمر إلا هو، وأن جميع السماوات ومن فيهن، والأرضين السبع ومن فيهن كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره.

الشَّرح:

قوله" اعلم": العلم هو: إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكًا جازمًا، ومراتب الإدراك ستة:

الأولى: العلم.



الثانية: الجهل البسيط، وهو عدم الإدراك بالكلية.

الثالثة: الجهل، وهو إدراك الشيء على وجه يخالف ما هو عليه، وسمي مركبًا؛ لأنّه جهلان يجهل الإنسان بالواقع ويجهل بحاله حيث ظنّ أنَّه عالم وهو ليس بعالم.

الرابعة: الوهم، وهو إدراك الشيء مع احتمال ضد الراجح.

الخامسة: الشك، وهو إدراك الشيء مع احتمال ضد مساوٍ.

السادس: الظن، وهو إدراك الشيء مع احتمال ضد مرجوح.



والعلم ينقسم إلى قسمين: ضروري، ونظري.

فالضروري: ما يكون إدراك المعلوم فيه ضروريًّا بحيث يضطر إليه من غير نظر ولا استدلال كالعلم بأنّ النار حارة مثلًا، والنظر ما يحتاج إلى نظر، واستدلال كمعرفة وجوب النية فِي الوضوء مثلًا .

فقوله "**اعلم**": هذه كلمة يؤتَى بِها عند ذكر الشيء الَّذي له أهمية، وينبغي أن يصغي إليه المتعلم ويُفهم ما يلقى إليه وما قرره المصنف فِي هذا الكتاب حقيق بأن يصغى إليه غاية الإصغاء ليحصل الانتفاع بذلك، ومراتب الانتفاع بالعلم سبعة :

الأوّل: حسن السؤال، قيل لابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: "أنّى لك



هذا العلم؟ قال: بقلب عقول ولسان سؤول".

الثانِي: حسن الاستماع، "**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**" (ق_٣٧)، فيصغي بحاسة سمعه وبحضور قلبه إلى المتكلم لينتفع من كلامه.

الثالث: حسن الفهم، وهذا من أعظم ما يستهان به على إدراك العلم؛ فإنّ كثيرًا من الجماعات الضالة والفرق المنحرفة كالخوارج وغيرهم إنّما أوتوا من سوء فهمهم للنّصوص.

الرابع: حسن القصد، النية الصادقة الصالحة لطلب العلم النّافع.

الخامس: الكتابة لما يتعلمه قال أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "**قيّدوا**



العلم بالكتابة".

السادس: الحفظ، فإنَّ العلم يحتاج إلى حفظ، فمنه محفوظات، ومنه مفهومات.

السابع: العمل بالعلم، وهو أدعى شيء لتثبيته و الانتفاع به فإنّ العمل به يوجب تذكره وتدبره ومراعاته والنظر فيه فإذا أهمل العمل به نسيه قال بعض السلف :"**كنا نستعين على حفظ العلم بالعمل به**"، وقال بعضهم :"**العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلّا ارتحل**"، فما استدر العلم واستجلب بمثل العمل به. فالمصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى: يقول "**اعلم**" : وهذه الكلمة يأتِي بِها المتكلم لقصد التفهم لما

بعـــدها، أي: اجمــع قــوّاك وحواســك وكــن متفهمًــا مــدركًا لمــا يلقــى إليــك بعــدها، ولا شــيء أعظــم مــن أن يعتنــى بــه ويلقــى لــه الســمع والقلــب أعظــم مــن كلمة " **التوحيد** ".

قوله "**رحمك الله**" : كثيرًا ما يجمع المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى بين الدعاء للطّالب مهما قرره و وضحه وهذا من حسن مسلكه ومحبته بالمسلمين. "**رحمك الله**" **أي**: غفـر لـك فيما مضى ووفقك فيما يستقبل. أنّ التوحيد الـذي بعـث الرسل به و أوّل واجب على المكلف علمًا وعمـلًا هـو إفراد الله بالعبادة. فـ(ال) فيه هنا للعهد، والمصنف كثيرًا مـا يعتمـد علـى هـذه العبـارة "**إفـراد الله بالعبـادة**"، وهـي أحســن التعــاريف وأخصــرها، ومــراد الإمــام- التوحيــد

الذي بعثت به الرسل لتحقيقه؛ لأنّه هو حصل الإخلال به والخلاف بين الرسل وأممهم، وهناك تعريف أعمّ للتوحيد وهو: إفراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بما يختص به.

وأنواعه ثلاثة :

*توحيد الألوهية: وهو توحيد الله بأفعال العباد .

*توحيد الربوبية: وهو إفراد الله بأفعاله سبحانه، والإقرار بأنّه هو الخالق الرازق المدبر وحده.

*توحيد الأسماء والصفات: وهو وصفه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بما وصف به فِي كتابه وبما وصفه به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه على حد قوله تعالى:" لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ

السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" (الشورى_١١)، و توحيد الألوهية للقسم الأول هو مدلول لكلمة "لا إله إلا الله" مطابقة وبالنسبة لتوحيد الربوبية فمستلزم لتوحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات مشتمل على قسمين: توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، فالمصنف يقول: بأنّ التوحيد هو إفراد الله بالعبادة ، والعبادة مشتقة من التعبد وهو والخضوع يقال: طريق معبد **أي**: وإن كانت قد دلت على القسمين الأولين بطريق التضمّن

"والعبادة" مشتقة من التعبد وهو التذلل والخضوع. يقال: طريق مُعَّبد؛ **أي**: مذلل قد وطئته الأقدام. وسميت وظائف الشرع على المكلّفين عبادات؛ لأنّهم يفعلونَها

خاضعين ذليلين لله عَزَّ وَجَلَّ .

وفِـي الشـرع لهـا تعـاريف عنـد العلمـاء، ومـن هـذه التَّعـاريف مـا ذكرهـا شـيخ الإسـلام ابـن تيميـة بقولـه: العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال.

قوله "وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده ":

أي: توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، والدِّين مصدر مضاف إلى الفاعل وإلى المفعول فإذا أضيف الدِّين إلى العبد أو إلى الرسول فلأنَّه العابد المطيع، وإذا أضيف إلى الله فلأنَّه المعبود المطاع.

فعرفه بأنّه دين جميع المرسلين من أوله إلى آخره كما

قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}(١)، وقال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}(٢)، وإن تفرقت شرائعهم كما قال تعالى: {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا}(٣)، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد"(٤)، بنو العلَّات هم أولاد الرجل من نسوةٍ شتَّى؛ سميت بذلك لأنَّ التي تزوجها على الأولى كانت قبلها، ثمَّ علَّ من الثانية، والعلَّل: هو

١-سورة الأنبياء، الآية: ٢٥ . ٢-سورة النحل، الآية: ٣٦.

٣-سورة المائدة، الآية: ٤٨. ٤-أخرجه البخاري (ك. ٦٠ب٤٨) ومسلم (ص ١٨٣٧).



الشرب الثانِي؛ يقال له: علَّل بعد نَهلٍ، أو علَّه أو يعله إذا استقاه السِّقية الثانية، وقيل وهو الأحسن: سمّوا بذلك؛ لأنَّهم أولاد الضرائر والعلات أي: الضرائر، وهذا الأظهر، فأصلُ دين الرسل واحد وشرائعهم مختلفة.

فدين جميع الرسل واحد والذي بعثوا به هو عبادة الله، والذي بُعثوا به هو الذي من أجله خُلِق الخلق، وهو الذي من أجله أُرسِلت الرسل وأنزلت الكتب.

قوله " فأولهم نوح عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ": نوح هو أول رسول بعث إلى أهل الأرض كما قال تعالى: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ.

وكان بنو آدم قبله عشرة قرون كلهم على دين الإسلام.

قوله"(أرسله الله إلى قومه لمَّا غلوا فِي الصالحين ودٍّ، وسواع، ويغوث، ونسرٍ) " : قال شيخ الاسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى : "أصل الشرك فِي بني آدم: كان من الشرك بالبشر الصالحين المعظمين عندهم فإنَّهم لمَّا ماتوا :عكفوا على قبورهم، ثمَّ صوَّروا تماثيلهم، ثمّ عبدوهم...فهذا أوَّل شرك كان فِي بني آدم، وكان هذا فِي قوم نوح فإنَّه أوَّل رسول بعث إلى أهل الأرض يدعوهم إلى التوحيد.."،

فأول ما حدث الشرك فِي قوم نوح بسبب الغلو؛ وهو مجاوزة الحد فِي محبة الصالحين وتعظيمهم فوق ما شرعه الله؛ عظموهم تعظيمًا غير سائغ لهم بأن عكفوا على قبورهم ثمَّ صوَّروا تماثيلهم، وإن كانوا ما عبدوهم

وإنَّما عبدوا الصور؛ لأنَّهم لم يأمروهم بعبادتِهم، وإن كانوا أيضاً لم يعبدوا الصور إنَّما عبدوا الشيطان فِي الحقيقة لأنَّه الذي أمرهم. وبه تُعرَف مضرة الغلو فِي الصالحين فإنَّه الهلاك كل الهلاك، فإنّ الشرك بِهم أقرب إلى النفوس من الشرك بالأشجار والأحجار، وإذا وقع الشرك فِي القلب صعب إخراجه منها؛ ولهذا أتت الشريعة بقطع وسائله وذرائعه الموصلة إليه والمقربة منه.

والوسائل إمّا قولية أو فعلية، وهؤلاء غَلَوا فعلاً؛ غلوا بكثرة التردد إلى قبورهم وهذا فيه مشروع لكن زادوا فيه، وغلوا بالعكوف وهو نفسه عبادة ووسيلة إلى عبادة

أربابِها؛ فلمَّا رأى منهم الشيطان ذلك زين لهم تصويرهم. وهاتان الذريعتان -التصوير والعكوف- من أعظم الوسائل الموصلة إلى الشرك كما تقدم.

فالله ﷻ قال: ﴿لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ (نوح-٢٣)، فذكر الله ود، وسواع، ويغوث ويعوق، ونسر، وكانوا أهل خير وعلم وصلاح، فماتوا فِي زمن متقارب، فأسفوا عليهم وفقدوا ما معهم من العلم، فزيَّن لهم الشيطان التردد إلى قبورهم واللُّبث عندها، ثمّ أوقعهم فيما هو أعظم من ذلك فقال: ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه صار أهون عليكم من التردد إلى قبورهم واللبث عندها؛ فدلهم على تصوير تماثيلهم، وقال: إذا فعلتم ذلك كان أشوق لكم إلى

الإكثار. من العبادة فكأنكم تشاهدونَهم فِي مجالسهم وعلى حالتهم ولم يكن مفقودًا منهم إلا الأجسام فقط؛ ففعلوا. ثمّ انقرض ذلك الجيل وأتى جيل آخر لم يدروا لما صُوِّرت تلك الصور، فقال لهم إبليس: إن مَن كان قبلكم كانوا يستسقون بِهم المطر، **يعني**: يسألونَهم ويزعمون أنَّهم يسألون الله لهم. فوقع الشرك فِي بني آدم بسبب الغلو فِي الصالحين، فهو الباب الأعظم المفضي إلى الشرك بالله

ولما أرسله الله إلى قومه فدعاهم إلى عبادة الله وحده ولم يجبه إلا القليل أمره الله بصنع السفينة فصنعها، وأرسل الله على أهل الأرض الطوفان وأغرق جميع من

عَصَوه.

ورُوي أنّ السيل ألقى هذه الأصنام فِي جدة لما أغرق قوم نوح، ثمّ بعد مضي سنتين أتى إبليس إلى عمرو بن لحي الخزاعي -وكان رئيس قومه تلك المدة- فقال له: إئت جده، تجد بِها أصناماً مُعدَّه، فَرِّقها فِي العرب، وادعُ إليها تجب، فإنَّك إذا فعلت ذلك لم تختلف عليك منهم اثنان؛ ففعل -لعنه الله- فعُبِدت

قوله "وآخر الرسل محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" : وهو خاتم النبيين كما قال تعالى: {وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ}[الأحزاب- ٤٠]، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي". أخرجه مسلم (ص ٢٢٨٦).

قوله "**وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين**" : المعبودة على عهد نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ صور ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر. فانظر -**رعاك الله**- إلى آثار الشرك وعروقه إذا علقت متى تزول وتنمحي؟! فإن هذه الأصنام بقيت من يوم عُبِدت من دون الله حتى بعث محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكسرها، فالشرك إذا وقع عظيم رفعه وشديد؛ فإنَّ نوحـًا مع كمال بيانه ونصحه ودعوته إياهم ليلاً ونَهاراً وجهاراً أخذ ألف سنة إلا خمسين عامًا ما أجابه إلا قليل، ومع ذلك أغرق الله أهل الأرض كلهم من أجله بسبب الشرك، ومع ذلك تلك الأصنام الخمسة مازالت حتى بُعث محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكسرها.

فيفيدك عِظم الشرك إذا خالط القلوب صعب زواله كيف أصناماً عُبِدت على وقت أوّل الرسل وما كسرها إلا آخر الرسل- الله أكبر! يعني: وجدت فِي زمن أول الرسل وبقيت يشرك بالله فيها إلى أن كسرها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قوله "أرسله الله إلى قومه": أي: أرسله الله إلى قومه قريش ومن يلحق بِهم وإلا فهو بعث إلى الناس كافة {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا}.

قوله "أناسٍ يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيراً ويصلون الرحم ويكرمون الضيف فيهم بقايا من دين إبراهيم، ويعرفون أن الله وحده هو المتفرد بالخلق والتدبير ويخلصون لهم فِي الشدة، ولكنهم يجعلون بعض



المخلوقات وسائط بينهم وبين الله؛ يقولون: نريد منهم التقرب إلى الله ونريد شفاعتهم عنده. مثل: الملائكة، وعيسى ابن مريم، وأناس غيرهم من الصالحين": هذه آفتهم، وهي اتخاذهم وسائط بينهم وبين الله. فعبادتِهم لا تنفعهم إذ جعلوا لله شريكًا فِي العبادة؛ فهذا أفسدَ جميع ما هم عليه من هذه العبادات وصاروا بذلك كفاراً مرتدين حلال الدم والمال. فهذه هي عقيدة المشركين الأولين وهذا دينهم.

فأهم شيء هو معرفة دين المسلمين فيُتَّبع، ومعرفة دين المشركين والشياطين فيُجتَنَب؛ فإن من لا يعرف الجاهلية لا يعرف الإسلام. فاعرف حقيقة دين المشركين كلمة كلمة وفقرة فقرة واعرف تفاصيلها،

ويأتِي بعضها وبعض تفاصيلها بأدلة معروفة.

قوله " **فبعث الله محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** " (واخلولق من (دين أبيهم إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) فإن قريشًا ومَن يليهم ذريتُه وورثته، وكانوا على هذا الدِّين الحنيف؛ ولكنَّه اندرس واخلولق فيهم بسبب عمرو بن لحي بعد أن استخرج الأصنام وفرقها فِي العرب وغيَّر عليهم التلبية فتغير بسبب ذلك. روى البخاري فِي صحيحه عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "رأيت عمرو بن لحي الخزاعي يجر قصبه فِي النار أول من سيَّب السوائب" وفِي لفظ: "**وغيَّر دين إبراهيم**" وفِي لفظ عن ابن إسحاق: "فكان أول من غير دين إبراهيم، ونصب الأوثان –إلى أن قال: وكانت نزار تقول فِي

إهلالها: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك" (مختصر السيرة ص ٤٨)

قوله "ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد " أي: الذي يباشرون به الآلهة.

قوله "محض حق الله" أي: خالص حق الله من العبادة.

قوله " لا يصلحُ منه شيء لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل فضلا عن غيرهما": وإذا كان لا يصلح لأهل الدِّين والفضل فمَن دونهم بطريق أولى، فلا يُعتَقد ولا يُطلب ولا يُقصَد إلا الله تعالى، ولا يوسَّط من الخلق أحدٌ بينه وبينهم ولا يُتقَرَّب به، ولا يصلُح ولا يدنو من أن يصلح لبشر من حق رب العالمين شيء. وبِهذا تعرف دين

قريش ودين محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله " **وإلا فهؤلاء المشركون يشهدون أن الله هو الخالق وحده لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يحيي ولا يميت إلا هو ولا يدبر الأمر إلا هو، وأن جميع السماوات ومن فيهن، والأرضين السبع ومن فيهن كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره" أي**: هم مُقرُّون مذعنون بتوحيد الربوبية، لم ينازعوا فيه، ولا جاءهم الخللُ من ذلك؛ فهم يعرفون الله ويفعلون أنواعًا من العبادات، إنما نازعوا فِي توحيد العبادة، وجاءهم الخلل بجعل الوسائط شركاء مع الله فِي العبادة زعمًا منهم أنَّهم أقرب منهم إلى الله وسيلة. هذا هو شركهم الَّذي صاروا به كفارًا مرتدين.

فحقيقة دين قريش قبل مبعث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أنَّهم يتخذون شفعاء؛ يدعونهم ويذبحون لهم ويهتفون بأسمائهم، يقولون لسنا أهلاً لسؤال الله، فيتخذون وسائط أقرب منهم إلى الله ليشفعوا لهم ويسألوا الله لهم! فأخبرهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أن هذا محض حق الله لا يصلح منه شيء لغير الله. أما توحيد الربوبية فهم معترفون به مقرون به.

قال المُصنّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

(فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يشهدون بهذا فاقرأ قوله تعالى: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ

وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ} . وقوله تعالى: {قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ} [المؤمنون: ٨٤- ٨٩] وغير ذلك من الآيات.

ُ

الشَّرح:

قوله (فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يشهدون بهذا فاقرأ قوله



تعالى: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ} سيجيبونك إذا سألتهم أن الذي يفعل ذلك هو الله {فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ} الشرك به فِي ألوهيته وعبادته، وقوله تعالى: {قُلْ} يا محمد {لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا} ملك له {سَيَقُولُونَ لِلَّهِ} المالك لها وحده هو الله {قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ} وتستدلون بِها على أنه المستحق أن يُعبَد إذا كانت ملكه وليس لهم فيها شركة، فتفردونه بالعبادة وتتركون مَن سواه من العباد الذين ليس لهم من الملك فِي الأرض ومن فيها {قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ} يعني: وحده فإنّهم ما أشركوا

فِي الربوبية إنما أشركوا فِي الألوهية بجعلهم الوسائط {قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ} أي: كيف تُخدَعون وتُصرفون عن طاعته وتوحيده مع اعترافكم وعلمكم بأنه وحده الخالق المتصرف.

قوله (وغير ذلك من الآيات) أي: الدالة على إقرار المشركين بالربوبية كقوله: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ}، وقوله تعالى {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ}.

وهذا مما احتج به تعالى عليهم؛ احتج عليهم بما أقروا به من ربوبيته على ما جحدوه من توحيد العبادة؛ فإن



توحيد الربوبية هو الأصل وهو الدليل على توحيد الألوهية، فإذا كان الله تعالى هو المتفرِّد بخلق السماوات والأرض لم يشرك فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل. فكونه هو الخالق وحده يقتضي أن يكون هو المعبود وحده؛ فإنه من أبعد شيء أن يكون المخلوق مساويًا للخالق أو مستحقًا لما يستحقه الخالق، فلا يُسوَّى ولا يُجعل مَن لا شركة له فِي شيء شريكًا لمن هو مالك كل شيء، فإقرارُهم بالربوبية ناقص، لو كان حقيقة لعملوا بمقتضاه، لو تمَّموا أنه الخالق وحده الرازق وحده لما جعلوا له نداً من خلقه؛ لكنه مع ذلك إقرارهم فيه ضعف؛ لو أنه تام لما تخلَّف عنه إفراده بالعبادة...

قال المُصنّفُ رَحِمَهُٱللَّهُتَعَالَىٰ:

فإذا تحققت أنّهم مقرون بِهذا ولم يدخلهم فِي التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وعرفت أن التوحيد الذي جحدوا هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون فِي زماننا (الاعتقاد).

كما كانوا يدعون الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ ليلًا ونَهارًا، ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربِهم من الله ليشفعوا له أو يدعو رجلا صالحا مثل اللات، أو نبيّا مثل عيسى. وعرفت أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قاتلهم على هذا الشرك ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده، كما قال الله تعالى: { {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُو مَعَ اللهِ أَحَداً} [الجن: ١٨]، وكما قال تعالى: {لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ



وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ} [الرعد: ١٤]. وتحققت أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاتلهم ليكون الدعاء كله لله، والنذر كله لله، والاستغاثة كلها بالله، وجميع أنواع العبادات كلها لله. وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم فِي الإسلام، وأن قصدهم الملائكة، والأنبياء، والأولياء، يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بذلك هو الذي أحل دماءهم وأموالهم. عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأبى عن الإقرار به المشركون.

الشَّرح:

قوله "فإذا تحقَّقت أنهم مقرون بهذا" : إذا تحققت



ممّا تقدم أنّهم مقرون بتوحيد الربوبية وأنه لم يدخلهم فِي الإسلام لم يكونوا مُوحِّدين بل كانوا مشركين، دليل ذلك الآيات المتقدم ذكرها.

قوله "**وعرفت أن التوحيد الذي جحدوه وصاروا بجحده كفارا حلال الدم والمال (هو توحيد العبادة)**: إذا تأمَّلت ما مرَّ من إذا تحققت وما عطف عليها أنه ليس توحيد الربوبية كافيًا فِي الدخول في الإسلام، وأنه لابد من ثمرته وهو توحيد الألوهية، وأنّ التوحيد الذي أشركوا فيه ولم يخلصوا فيه هو توحيد العبادة (الذي يسميه المشركون فِي زماننا الاعتقاد) فيقولون: فلان فيه عقيدة، **يعني**: يصلح أن يعتقد فيه أنه ينفع؛ إذا ادَّعوا فِي شخص الاعتقاد، **يعني**: الادعاء فيه الألوهية (كما كانوا

يدعون الله ليلاً ونهاراً) **يعني**: المشركين الأولين يدعون الله ليلاً ونهاراً. ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله ليشفعوا له، أو يدعو رجلاً صالحًا مثل (اللات، أو نبيًا مثل عيسى) من الأولين فِي بعض الأحيان من يدعو الملائكة هذا هو حقيقة شركهم فقط؛ فحقيقة دينهم أمران:

الأول: أنّهم يزعمون أنّ هذا شيء يحبه الله.

الثانِي: أنّها تقربهم إلى الله زلفى؛ فتقرَّبوا إلى الله بما يبعدهم منه.

قال المُصنّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

وعرفت أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قاتلهم على هذا الشرك



ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده، كما قال الله تعالى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ}

الشَّرح:

قيل: المراد بالمساجد أعضاء السجود، وقيل: المراد بِها المبنية للصلوات. والكل حق؛ فالمساجد بُنِيت ليوحَّد اللهُ فيها ولا يُعبَد فيها سواه، والأعضاء خلقت ليُعبد بِها ولا يعبد بِها سواه {فَلا تَدْعُو مَعَ اللهِ أَحَداً} هذا عمومٌ داخلٌ فيه جميع المخاطبين من الأنبياء وسائر المكلَّفين. و (أحداً) نكرة؛ لا حجر ولا شجر، ولا نبي ولا ولي.

وكما قال تعالى: {لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ} فهو الحق، ودعوته وحده هي الحق، وهو المستجيب لداعيه كما قال تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} {وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ}، وهذه من صيغ العموم؛ تشمل الأنبياء والأولياء والصالحين.

(شيء) نكرة؛ فشملت أي نوع وجنس؛ فعمَّت المدعو وعمت المطلوب؛ فأي مدعو لا يستجيب من أي شيء كان، وأي مطلوب لا يحصل من أي شيء كان، فما سواه باطل ودعوتهم باطلة؛ فإنّهم ما بين ميت وغائب وحاضر لا يقدر.

قال المُصنّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

"وتحقَّقت أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاتلهم ليكون الدعاءُ كله لله، والذبح كله لله، والنذر كله لله، والاستغاثة كلها بالله، وجميع أنواع العبادات كلها لله. وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يُدخِلهم فِي الإسلام، وأن قصدهم الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء يريدون شفاعَتهم والتقرُّبَ إلى الله بذلك هو الذي أحلَّ دماءهم وأموالهم، عرفت حينئذٍ التوحيدَ الذي دعت إليه الرسل وأبى عن الإِقرار به المشركون.

الشَّرح:

فدعاؤهم كما أنه شركٌ فهو ذاهبٌ ضيَاع وخَسار، فالمشركُ أضل الناس وأغبنُهم صفقةً فِي الدنيا



والآخرة.

قوله (**عرفت حينئذٍ التوحيدَ الذي دعت إليه الرسل وأبى عن الإقرار به المشركون**) : إذا تأملت ما مرَّ من قوله (**إذا تحققت**) وما عُطِف عليها، تبيَّن لك التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأبى عن الإقرار به المشركون، وعرفت حقيقته؛ أنه توحيد الألوهية والعبادة.

فإذا عرفت إقرارهم بالربوبية هان عليك ما عليه المتأخرون واتضح لك دين المرسلين من دين المشركين، وهذا التوحيد هو معنى قولك (لا إله إلا الله) لم يكتفِ بذكر التوحيد بل صرَّح لك بكلمته فقال: (هذا هو التوحيد) هو مدلول هذه الكلمة لا إله إلا الله؛



يعني: أن يكون الإله المعبود هو الله وحده دون كل ما سواه.

قال المُصنّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

الفصل الثالث بيان أن توحيد العبادة هو معنى لا إله إلا الله

وهذا التوحيد هو معنى قولك (لا إله إلا الله) فإن الإله عندهم هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور سواء كان ملكا، أو نبيا، أو وليًّا، أو شجرة، أو قبرا، أو جنيا لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبر، فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده كما قدمت لك. وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون فِي زماننا بلفظ (السيد).

الشَّرح:



هذا التوحيد هو معنى قولك "لا إله إلا الله" مطابقة، وهي التي وُضعت له، واشتملت على ركنين: النفي، والإثبات؛ نفي الألوهية عن كل ما سوى الله، وإثباتها لله وحده. ومعناها لا معبودَ حق إلا الله وحده؛ كلُ معبود سوى الله فعبادتُه وتألُّهه أبطل الباطل وأضلُّ الضلال. ولا يكفي فِي كلمة التوحيد النطق بِها بل العمل بِها والعمل بمقتضاها (فإن الإله عندهم) أي: عند أهل اللسان من قريش وغيرهم الذين بُعث فيهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخاطبهم بقوله: "قولوا لا إله إلا الله تفلحوا" (هو الذي يقصد) بالذبح والنذر والدعاء ونحو ذلك (لأجل هذه الأمور) وهي طلب الشفاعة والتقريب إلى الله (لم يريدوا أن الإله) إذا قالوا إله أنه يرزق

حقيقة؟ لا. هذا يكذبه القرآن، بل جاء القرآن بأنهم يقولون يصلحون وينفع إذا اعتقد فيه وأنه يتصرف بالشفاعة عند رب الجميع. نعم، فِي آخر الزمان يعتقدون أنه يفيض عليه من بركته- هو الخالق الرازق المدبر فإنّهم يعلمون أن ذلك لله وحده) كما تقدم ذلك بأدلته من الكتاب كقوله: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية ونحوها (وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون فِي زماننا بلفظ السيد) إذا قالوا هذا سيد، يعني: إله، وإن لم يستشعروا هذا اللفظ، لكن المعنى أنه يصلح لأن يوسّط بين أحد من الخلق وبين الله، وأن الاعتقاد فيه ينفع إذا تُشُبِّث به وطُلب منه أن يطلب لهم من الله حوائجهم. يعنون أن هذا ولي وهذا معتقد لنا،

بمعنى أن المعتقَد فيه ينفعه ويجيبه، وأنه يصلح للالتجاء إليه، فيتقربون إليه ليقربِهم إلى الله؛ يعني: أنّهم وسائط.

قال المُصنّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

فأتاهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعوهم إلى كلمة التوحيد وهي (لا إله إلا الله) والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها. والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذه الكلمة هو (إفراد الله تعالى) بالتعلق و(الكفر) بما يعبد من دونه والبراءة منه، فإنه لما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قولوا (لا إله إلا الله) قالوا {أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ}[ص: ٥]. فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك، فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه

الكلمة ما عرفه جهال الكفرة، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني. والحاذق منهم يظن أن معناه لا يخلق ولا يرزق إلا الله ولا يدبر الأمر إلا الله، فلا خير فِي رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى (لا إله إلا الله).

الشَّرح:

فأتاهم النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يدعوهم إلى كلمة التوحيد وهي (لا إله إلا الله) التي فيها إبطال جميع ما يتعلقون به على غير الله بشيء من أنواع العبادة المفرِدة ربَ العالمين بالألوهية استحقاقًا وعملاً وفهمًا لذلك (والمراد من هذه الكلمة) كلمة لا إله إلا الله (معناها لا



مجرد لفظها) فإنه لا يكفي فيها أريد بِها، وإن كان لابد من النطق بِها عند إسلام العبد، لكن هي مقصودة لغيرها وهو العمل بما دلت عليه، هي من الوسائل لا من الغايات، فلا يكفي اللفظ بدون المعنى، ولا يكفي المعنى بدون اللفظ. ثم ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى: (والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهذه الكلمة هو إفراد الله بالتعلُّق والكفر بـ) جميع (ما يُعَبد من دونه) كَهُبَل ونحوه، وهذا فهم صحيح (والبراءة منه) وأن يتبرأ منه، ودليل ذلك وبرهانه (فإنه لما قال لهم: قولوا لا إله إلا الله) فرُّوا واستنكروا من إفراد الله بالعبادة و (قالوا: {أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهـًا وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} أي: أَجَعَل المعبودات معبوداً واحدا؟! فدلَّ على أنّهم عرفوا

معناها، وقالوا فيما حكاه الله عنهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ وَيَقُولُونَ أَإِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾. فالتوحيد هو الحق وهو النور لكن عقولهم فسدت وأفسد مزاجَها الشركُ؛ لأنّها نشأت عليه وألفته، فصارت لا تستنكره. فصاروا كالمريض الذي إذا أُتي بالشيء الحلو قال هذا مُرّ لفساد مزاجه، ولم تنشأ على الوحيد فاستنكرته.

قوله " (**فإذا عرفت أن جهال الكفار**) كأبي جهل فرعون هذه الأمة وأَضْرابِه (يعرفون ذلك) **يعني**: معنى لا إله إلا الله كما تقدم (فالعجب ممن يدعي الإسلام) بل يدعي العلم؛ بل يدعي الإمامة فِي الدين (وهو لا يعرف من هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار..)



فإن هذا –ادعاؤه الإسلام– فضلاً عن العلم فضلاً عن الإمامة، ويخفى عليه ذلك الذي بان وظهر لجهال الكفار، هذا فِي الحقيقة من أعجب العجب؛ بل من أعظم الجهل وأفحش الخطأ. فِي الحقيقة من أعجب العجب بل من أعظم وأفحش القبر، واشتغل المسلمون قرونًا فِي كثير من مؤلفاتِهم لا يفسرون (لا إله إلا الله) إلا بالخالق الرازق، وأصبح معتقدًا لهم؛ بل لولا حق كثير ممن أخذوا أعلى الدرجات العلمية حتى فِي التخصصات الشرعية فِي الفقه فِي الحديث فِي التفسير فِي كذا فِي الأصول؛ لكنهم لا يعرفون التوحيد وإذا سئلوا عنه قالوا: هو الخالق الرازق المحيي المميت! ولذلك لما سئل الشيخ ابن باز وتأسف قال: كثير أناس

معهم درجة الدكتوراه ولا يعرفون العقيدة، فالشيخ هنا يتعجب! يعني: كيف أن جهال الكفار عرفوا معنى لا إله إلا الله، وكثير ممن ينتسب إلى الإسلام لا يعرف معناه، وإنما يحملها على توحيد الربوبية؛ بل يظن بعضهم أن ذلك هو التلفظ بحروفها كما يوجد عند بعض الفرق الضالة من غير اعتقاد القلب لشيء من معانيه. بعضهم يقول: هي النطق باللسان فقط، وبعضهم يقول: الاعتقاد بالقلب دون العمل ودون النطق باللسان.

يقول: فإن هؤلاء الكفار عرفوا هذه المعنى وممن ينتسب إلى الإسلام يظن أن ذلك أو بعض من ينتسب للإسلام يظن أن ذلك هو تلفظ بحروفها لا إله إلا الله من غير اعتقاد القلب لشيء من المعانِي.

يقـول : أن أبـا جهـل وأضـرابه لـو يعلمـون أن هـذا هـو المـراد لما تلعثمـوا فِي قولها ولا نـازعوا، وكـذلك لـو فهموا أن المراد الربوبية لسارعوا إلى ذلك ولم ينازعوا، لكـن علمـوا أن معناهـا أن يكـون الإلـه المعبـود هـو الله وحده دون كل ما سواه والتبرِّي مما سـواه، "**فمـن يكفـر بالطـاغوت ويـؤمن بـالله فقـد استمسـك بـالعروة الوسـطى**"، وأنه لا بـد مـن اعتقـاد ذلـك ووجـوده فِي العمـل، وأنّهـا تبطل جميع مـا هـم عليـه مـن ديـن آبـائهم وأجـدادهم، والحاذق منهم كما ذكر الشيخ الذي يرى أن المراد شيئًا أخر غير اللفظ يخطئ المعنى المراد ولا يعرفه يظن أن معناهـا لا يخلـق لا يـرزق إلا الله لا يـدبر الأمـر إلا الله **يعني**: أنّها دلت على توحيد الربوبية، ومعلوم أن لا إله

إلا الله دلت على توحيد الربوبية بالتضمن؛ لكن معناها الذي وضعت له مطابق أن يكون الله وحده هو المعبود دون كل من سواه.

قوله (**فلا خير فِي رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى (لا إله إلا الله)** : نعم، هذا رجلُ سُوءٍ لا خير فيه، هذا أقل ما يُقال فيه؛ فالمصنف اقتصر واقتصد على أدنى ما يقال فيه وإلا فهو يستحق أعظم، بل لا خير فيه بحال. إذا كان أبو جهل فرعون هذه الأمة وأضرابه أعلم منه بمعناها فلا جهلَ معنى هذه الكلمة التي هي أصل دين الإسلام وقاعدته وأساسه

قال المُصنّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:



الفصل الرابع معرفة المؤمن أن نعمة الله عليه بالتوحيد توجب الفرح به والخوف من سلبه

إذا عرفت ما ذكرت لك معرفة قلب، وعرفت الشرك بالله الذي قال الله فيه: {إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ}[النساء: ٤٨]. وعرفت دين الله الذي أرسل به الرسل من أولهم إلى آخرهم الذي لا يقبل الله من أحد سواه. وعرفت ما أصبح غالب الناس فيه من الجهل بهذا أفادك فائدتين: الأولى: الفرح بفضل الله ورحمته كما قال تعالى:{قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} [يونس: ٥٨]، وأفادك أيضا الخوف العظيم. فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه، وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل، وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله تعالى كما ظن المشركون، خصوصا إن ألهمك الله ما قص على قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم أنهم أتوه قائلين: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} [الأعراف: ١٣٨]،

فحينئذ يعظم خوفك وحرصك على ما يخلصك من هذا وأمثاله.

الشَّرح:

قوله (**إذا عرفتَ ما قلتُ لك معرفةَ قلب**) **يعني**: معرفة حقيقية واصلة إلى سويداء القلب ليست مجرد دعوى باللسان؛ فإن مجرد دعوى اللسان من غير معرفة القلب ليست معرفة (وعرفت الشرك بالله) وهذا من عطف العام على الخاص، وإلا فما تقدم وافٍ فِي بيان حقيقة دين المرسلين وحقيقة دين المشركين (الذي قال الله فيه: **{إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ}**، وتصوَّرته ما هو، وقد قدم لك المصنف ما يُعرِّفك به فيما قرَّره من معرفة

التوحيد؛ فإن التوحيد يتبين ضده الشرك (وعرفت دين الله الذي بعث به الرسل من أولهم إلى آخرهم الذي لا يقبل الله من أحد سواه) **يعني**: الذي هو التوحيد. وتقدَّم هذان الأمران مُقَرَّرَين لك فِي صدر هذا الكتاب: دين المرسلين ودين المشركين. (وعرفت ما أصبح غالبُ الناس فيه من الجهل بِهذا) بالتوحيد والشرك؛ فإن أكثرهم ما عرف دين الله هذا، بل عادَوا أهل التوحيد وعابوهم وحاربوهم، واتبعوا دين المشركين كله بسبب عدم الفرق بين هذا وهذا، إذا عرفت هذه الأمور الأربعة معرفة قلب (أفادك فائدتين) عظيمتين.

الأولى: (الفرح بفضل الله وبرحمته) أن الله تعالى إذا



عرفت التوحيد وعملت به فتح عليك وأنعم عليك وتفضّل عليك حتى عرفت المعنى الصحيح لهذه الكلمة العظيمة (لا إله إلا الله)، وهذا فضل عظيم من الله يجب أن يشكر عليه، ورحمة، والفرح بمثل هذا ممّا أمر الله به كما قال تعالى وذكره المصنف: {قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ}، وفرح العبد بما أنعم الله عليه من العلم والعبادة من الأمور المحمودة؛ كما جاء فِي الحديث "للصائم فرحتان؛ فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه".

(وأفادك أيضاً الخوف العظيم) هذه هي الفائدة الثانية؛ الخوف العظيم؛ أي: من أن تقع فِي ذكر ما وقع فيه هؤلاء من الجهل فِي معناها، والخطر العظيم فِي ذلك.

قوله " **فإنك إذا عرفتَ أن الإنسان يكفر بكلمة يُخرجِها من لسانه، وقد يقولها وهو جاهل فلا يُعذر بالجهل، وقد يقولها وهو يظن أنها تُقرِّبه إلى الله كما ظن المشركون، خصوصاً إن ألهمك الله ما قصَّ عن قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم أنهم أتوه قائلين: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} فحينئذ يعظم خوفك وحرصك على ما يُخلِّصُك من هذا وأمثاله**" : الشيخ يعذر بالجهل فِي المسائل الخفية دون المسائل الظاهرة الجلية كما حقق ذلك الشيخ نفسه أن الشخص المعيّن إذا قال ما يوجب الكفر فإنه لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها. يقول: وهذا فِي المسائل الخفية التي قد يخفى دليلها على بعض الناس، وأما ما يقع منه فِي

المسائل الظاهرة الجلية أو ما يعلم من الدين بالضرورة فهذا يقول: لا يتوقف فِي كفر قائله ولا تجعل هذه الكلمة (يقصد الجهل) عُكازة يدفع بِها فِي نحر من كفّر البلدة الممتنعة عن توحيد العبادة والصفات بعد بلوغ الحجة و وضوح المحجة. يقول أيضًا: إن الذي لم تقم عليه الحجة هو الذي حديث عهد بالإسلام، والذي ببادية أو يكون ذلك فِي مسألة خفية مثل (الصرف والعقل) الصرف والعطف هذا من السحر، فيزعمون أنه يحبب المرأة لزوجها فلا ينصرف عنها. قال: فلا يكفر حتى يُعرّف، وأما أصول الدين التي أوضحها الله فِي كتابه فإن الحجة فيها هي القرآن، فمن بلغه فقد بلغته الحجة، وجواب آخر يقول: وهو أن يقال أن الشخص

لا يعذر بالجهل إذا كان مفرطًا ومقصر فِي التعلم فكل جهل يمكن للمكلف دفعه لا يكون حجة للجاهل، وأما من كان عاجزًا فلم يقصر أو يفرط فإنه يعذر بالجهل حتى تقوم عليه الحجة كمن أسلم حديثًا. وبعض أهل العلم يفصل فِي هذه المسألة التي هي مسألة العذر بالجهل.

يقول المُصنّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى: حينما حذّر من أمرين أحدهما: خوف الإنسان على نفسه من أن يظن ما ظن هؤلاء فِي معنى التوحيد أنه إفراد الله بالخلق والتدبير هو أن الواجب على الإنسان أن يكون على خوف دائمًا، ثمّ يذكر حال قوم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لمّا قالوا: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا

كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾، فبيّن لهم أنّ سؤالهم أن يجعل لهم ءالهة كما كان لهم ءالهة هذا من الجهل. فهذا يؤدي إلى خوف الإنسان على من أن يأتيه فِي الضلال والجهالات حتى يظن أن معنى (لا إله إلا الله) لا خالق لا رازق لا مدبر إلا الله. وهذا الذي قاله الشيخ الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى وحذّر منه.

يقول الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى: "هذا وقع فيه عامة المتكلمين الذين تكلموا فِي التوحيد حيث قالوا: معنى (لا إله إلا الله) أي: لا مخترع ولا قادر على الاختراع إلا الله، ففسروا هذه الكلمة العظيمة بتفسير باطل لم يفهمه أحد من المسلمين؛ بل ولا غير المسلمين- حتى المشركون الذين بعث فيهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كانوا يعرفون معنى هذه الكلمة أكثر مما يعرف هؤلاء المتكلمون.

قال المُصنّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

الفصل الخامس إن حكمة الله اقتضت أن يجعل لأنبيائه وأوليائه أعداء من الإنس والجن

واعلم أن الله سبحانه من حكمته لم يبعث نبيا بهذا التوحيد إلا جعلِ له أعداء كما قال الله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الأَنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً}. وقد يكون لأعداء التوحيد علومٌ كثيرة وكتب وحجج كما قال تعالى: {فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ}

الشَّرح:

المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى نبّه فِي هذه الجملة على فائدة عظيمة حيث بيّن أن من حكمة الله عَزَّ وَجَلَّ أنه لن يبعث نبيًّا إلّا جعل له أعداء من الجن والإنس، وذلك أن وجود العدو يُمَحص الحق ويبينه فإنه كلما وجد المعارض قويت الحجة على الآخر، وهذا الذي جعله الله تعالى للأنبياء جعله أيضًا لأتباعهم، فإتباع الأنبياء يصيبهم شيء ما أصاب الأنبياء؛ لأن الناس أعداء لما جهلوا، وأعداء لمن دعاهم إلى خلاف ما ألفوه وتعوده، فهذا الذي جعله الله تعالى للأنبياء جعله أيضًا لاتباعه، فكل أتباع الأنبياء يحصل لهم مثل ما حصل ويحصل مثل ما يحصل للأنبياء، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ

عَـدُوّاً شَـيَاطِينَ الإنْـسِ وَالْجِـنِّ يُـوحِي بَعْضُـهُمْ إِلَـى بَعْـضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً} ،وقال تعـالى: "وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِـيٍّ عَـدُوًّا مِّـنَ الْمُجْـرِمِينَ وَكَفَـىٰ بِرَبِّـكَ هَادِيًـا وَنَصِـيرًا" (الفرقان-٣١)، فإن هؤلاء المجرمين يعتدون على الرسل وأتباعهم وعلى ما جاءوا به بأمرين:

الأمر الأول: التشكيك.

الأمر الثانِي: العدوان.

أما التشكيك فقال الله تعـالى فِـي مقابلتـه: " **وَكَفَـىٰ بِرَبِّـكَ هَادِيًـا**" **يعنـي**: مـن أراد أن يضـله أعـداء الأنبيـاء، وأمّـا العدوان فإن الله قـال فِـي مقابلتـه: "**وَنَصِـيرًا**" **يعني**: لمـن أراد أن يمدحه أعداء الأنبياء، فـالله تعـالى يهـدي الرسل

وأتباع الرسل وينصرهم على أعدائهم ولو كانوا من أقوى الأعداء فلا ييأس المسلم المؤمن الموحد من كثرة الأعداء وقوة من يقاوم الحق كما قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى: "الحق منصور وممتحن .. فلا تعجب فهذه سنة الرحمن"، فلا يجوز لنا أن نيأس؛ بل علينا أن نصبر وأن نحتسب وأن نطيل النفس وأن ننتظر وستكون العاقبة للمتقين، فالأمل دافع قوي للمضي فِي الدعوة والسعي فِي إنجاحها كما أن اليأس سبب للفشل والتأخر فِي الدعوة وقد يكون لأعداء التوحيد كما ذكر الشيخ علوم كثيرة وحجج كما قال تعالى: {فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ} يعني: أن أعداء الرسل الذين يجادلونَهم ويكذبونَهم قد يكون

عندهم علوم كثيرة وكتب وشبهات يسمونَها حججًا يلبسون بِها على الناس فيلبسون الحق بالباطل، كما قال تعالى: " فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون"، وهذا الفرح مذموم؛ لأنه فرح بغير ما يرضي الله ﷻ فيكون من الفرح المذموم، والمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى بِهذه الجملة إلى أنه ينبغي أن تعرف ما عند هؤلاء من العلوم والشبهات، فإنه ممّا ينبغي للداعية إلى الله ﷻ أن يكون ذا معرفة بحال المدعوين ما عندهم من علم ما عندهم من شبهات أباطيل ليسهل عليه معرفة الطريقة المناسبة لدعوته، فيفيد كلام المصنف أنه ينبغي أن نعرف ما عند هؤلاء أعداء الرسل وأتباعهم من العلوم من الشبهات من أجل أن نرد عليهم بسلاحهم

وهذا من هدي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولهذا لمّا بعث معاذاً إلى اليمن قال: "**إنك تأتِي قومًا من أهل كتاب..**" وذلك من أجل أن يستعد لهم ويعرف ما عندهم من الكتاب حتى يرد عليهم بما جاءوا به.

قال المُصنّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

الفصل السادس وجوب التسلح بالكتاب والسنة لدحض شبهات الأعداء

إذا عرفت ذلك وعرفت أن الطريق إلى الله لا بد له من أعداء قاعدين عليه، أهل فصاحة وعلم وحجج، فالواجب عليك أن تتعلم من دين الله ما يصير سلاحًا لك تقاتل به هؤلاء الشياطين الذين قال إمامهم ومقدمهم لربك عز وجل: {لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ



شَــــــــــــــــــــاكِرِينَ} .

الشَّرح:

إذا عرفت هذا أي: أن لهؤلاء الأعداء كتبًا وعلومًا وحججًا يلبسون بِها الحق بالباطل فعليك أن تستعد لهم، والاستعداد يكون بأمرين:

الأمر الأول: ما ذكره المصنف وأشار إليه بأن يكون لديك من الحجج الشرعية والعقلية ما تدفع به حجج هؤلاء وباطل.

والثانِي: أن تعرف ما عندهم من الباطل حتى ترد عليه حتى ترد لابد أن يكون عندك أوّل شيء "علم نافع"



والأمر الثانِي: تعرف الباطل الذي عندهم لترد عليه، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى فِي كتابه "تعارض والنقل والعقل" قال: "إنه ما من إنسان يأتِي بحجة يحتج بِها على الباطل إلا كانت حجة عليه وليست حجة له"، وهذا الأمر هو كما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى: "فإن الحجة الصحيحة إذا احتج بِها المبطل على باطله فإنّها تكون حجة عليه وليست حجة له"، فعلى من أراد كما يفهم من كلام الشيخ أن يجادل هؤلاء يتأكد أن يلاحظ هذين الأمرين: الأمر الأول: أن يفهم ما عندهم من العلم حتى يرده عليه. الأمر الثانِي: أن يفهم الحجج الشرعية والعقلية التي يرد بِها على هؤلاء. يعني: قبل أن يدخل معهم يكون تسلح بسلاح العلم فلا يدخل معهم وهو

ما يعرف باطلهم ولا عنده علم يبحث به الشبه فينقطع أمام الناس فيزري به أهل الباطل، فلا يناضلهم ولا معهم إلا وهو متمكن من العلم أولًا "العلم الشرعي الصحيح بطرائق الاستدلال به"، والأمر الثانِي: يكون عنده معرفة ودراية بحجج هؤلاء القوم وشبههم وأباطيلهم ليمكنه الرد عليهم.

قال المُصنّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

ولكن إذا أقبلتَ على الله وأصغيت إلى حجج الله وبيناته فلا تخف ولا تحزن {إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا} .

الشَّرح:



يريد المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ وغفر لنا وله أن يشجع أن يشجع من أقبل على الله تعالى وعرف الحق بأن لا يخاف من حجج أهل الباطل؛ لأنّها حجج واهية وهي من كيد الشيطان، وقد قال الله تعالى: {إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا}، وفِي ذلك يقول القائل:

حجج تَهافت كالزجاج تخالها ** حقًّا وكل كاسر ومكسور.

قال المُصنّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

والعامِّي من الموحِّدين يغلب الألف من علماء هؤلاء المشركين كما قال تعالى: {وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ} فجندُ الله هم الغالبون بالحجة واللسان كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان، وإنما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح وقد مَنَّ الله علينا بكتابه الذي جعله تبيانًا

لكل شيء وهدى وبشرى للمسلمين.

الشَّرح:

يقول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى العامي من الموحدين يغلب ألفًا من علماء هؤلاء المشركين، واستدل بقوله تعالى: **{وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ}**.

قوله "**والعامِّي من الموحِّدين**" **يعني**: من الذين يقرون بالتوحيد بأنواعه الثلاثة "الألوهية، والربوبية، والأسماء والصفات" يغلب ألفًا من علماء المشركين؛ لأن علماء هؤلاء المشركين يوحدون الله توحيدًا ناقصًا حيث أنّهم لا يوحدونه إلّا بتوحيد الربوبية فقط، وهذا توحيد

ناقص ليس هو توحيدًا فِي الحقيقة بدليل أن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاتل المشركين الذين يوحدون الله هذا التوحيد ولم ينفعهم هذا التوحيد ولم تعصم دماءهم وأموالهم، والعامي من الموحدين يقروا بأنواع التوحيد الثلاثة "توحيد الربوبية، توحيد الألوهية، توحيد الأسماء والصفات"، فيكون خيرًا من هؤلاء، ولذلك قال المصنف: "فجندُ الله هم الغالبون بالحجة واللسان كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان" مصداق لما ذكره الشيخ يعني: قد يؤلف موحد من الموحدين من أهل السنة رسالة صغيرة يهدم بِها عددًا كبيرًا من مؤلفات أهل الباطل؛ بل قد يلقي الموحد كلمة واحدة ولو كانت صغيرة تَهدم أصولًا ذكرها أهل الباطل وتعب فيها

وألفوا المؤلفات الكبيرة ممكن يهدمها فِي دقائق إذا منّ الله عليه بمعرفة الحق وبيانه واستعد فِي الرد على المفسدين.

فقوله" **فجندُ الله هم الغالبون بالحجة واللسان كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان**": فالمؤلف **رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ** أشار إلى أن جند الله و هم عباده المؤمنون الذين ينصرون الله ورسوله يجاهدون الناس بأمرين: **الأول**: الحجة والبيان، وهذا بالنسبة للمنافقين الذين لا يظهرون عداوة المسلمين، فهؤلاء يجاهدون بالحجة والبيان.

الثانِي: من يجاهد بالسيف والسنان وهم المظهرون للعداوة وهم الكفار الخلص المعلنون بكفرهم وفِي



هذا والذي قبله يقول الله ﷻ : "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ" وز(التوبة-٧٣)، والجهاد بالحجة والبيان. يقول: للكفار الخلص المعلنين لكفرهم أولًا، ثم يجاهدون بالسيف والسنان ثانيًا، ولا يجاهدون بالسيف والسنان إلا بعد قيام الحجة عليهم، لكن الجهاد عبادة من العبادات وكل عبادة لا تتم ولا تصح ولا تحصل ثمرتَها إلا إذا وجدت شروطها وأسبابُها وانتفت موانعها، فأهل العلم لمّا قرأوا النصوص الواردة فِي الكتاب والسنة ذكروا قاعدة مهمة جدًّا، وهي أن الأمور أيًّا كانت أصولية فروعية عقدية فقهية لا تتم ولا تصح إلا إذا وجدت شروطها وأسبابُها وانتفت موانعها هذا فِي كل شيء له علاقة

بالدين- التوحيد الصلاة الصوم الزكاة الحج الجهاد الإيمان التكفير الولاء البراء البيع الشراء الخلع الطلاق النكاح كل شيء له علاقة بالدين ما يتم ولا يصح ولا تترتب عليه ثمرته إلا إذا وجدت شروطه وأسبابه وانتفت موانعه، ولذا نجد أن الجهاد يتنوع أنواع كما ذكر أهل العلم- جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد أهل الأهواء والبدع، وأرباب الظلم والفسوق والعصيان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين.

قوله "والواجب" يعني: ينبغي أن يستعان بالله ﷻ لكل نوع من الناس لما يناسبه من الجهاد لكن على حسب المعنى الشرعي المناسب له فالواجب يعني: على أمة

الإسلام أن تقابل كل سلاح يصوّب نحو الإسلام بما يناسبه فالذين يحاربون الإسلام بالأفكار والأقوال لكن يجب أن يبين باطله ما هم عليه بالأدلة النظرية العقلية إضافة إلى الأدلة الشرعية يحاربون الإسلام من الناحية الاقتصادية يجب أن يدافعوا؛ بل أن يهاجموا إذا أمكن بمثل ما يحاربون به الإسلام، والذين يحاربون الإسلام بالأسلحة يجب أن يقاوموا بما يناسبوا تلك الحال على وفق شرع الله ﷻ.

قوله "**وإنما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح**" **يعني**: ما معه علم **أي**: أن الخوف من أعداء الأنبياء إنما هو على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح؛ لأنّه ليس له علم يتسلح به فيخشى أن



يجادله أحد من هؤلاء المشركين فتضيع حجته فيهلك، فلابد أن يكون عند الإنسان علم يدفع به الشبهات، ويفحم به الخصم؛ لأن المجادلين يحتاجون إلى من يقابلهم- المجادل يحتاج إلى أمرين: الأول: إثبات دليل قوله، والثانِي: إبطال دليل خصمه.

فالإنسان المجادل أو الذي يريد أن يناظر لشخص أو لطائفة أو نحو ذلك يحتاج إلى أمرين: إثبات دليل قوله، وإبطال دليل خصمه، ولا سبيل إلى ذلك إلا بمعرفة ما هو عليه من الحق، وما عليه خصمه من الباطل ليتكئ ليتمكن من دحض حجته.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى : **وقد مَنَّ الله علينا بكتابه الذي جعله تبيانًا**



لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين" أي: القرآن الذي جعله شيء ورحمة وبشرى للمسلمين منّ الله على المسلمين بِهذا الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم وجعله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** تبيانًا **أي:** مبينًا لكل شيء يحتاجه الناس فِي معاشهم ومعادهم، ثمّ إن تبيان القرآن للأشياء ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: أن يبين الشيء بعينه مثل قوله تعالى: "**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ**"، فتبين الشيء بعينه، وكقوله تعالى: "**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ**

نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ "[النساء٢٣-٢٤].

الأول: أن يبين الشيء بعينه مثل ما جاء فِي هذه الآيات.

الثانِي: أن يكون التبيان بالإشارة إلى موضع البيان لقوله تعالى: "**وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**" [النساء-١١٣]، فأشار الله تعالى إلى الحكمة التي هي السنة **يعني**: فما لم يكن بيانه فِي الكتاب فإنه جاء بيانه فِي السنة، فإنّها تبين القرآن، وكذلك قوله تعالى: "**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ**" [النحل-٤٣]، فهذا يبين أننا نرجع فِي كل

شيء إلى أهله الذين هم أهل الذكر به، ولهذا يذكر أن بعض أهل العلم أتاه رجل من النصارى يريد أن يطعن فِي القرآن الكريم، وكان فِي مطعم قال له هذا النصرانِي: أين بيان كيف يصنع هذا الطعام؟ أين البيان؟ كيف يصنع هذا الطعام؟ فدعا الرجل صاحب المطعم لاحظ كيف سؤاله! قال له: كيف يصنع هذا الطعام؟ ويريد أن يزري بالمسلم!، فنادى الشيخ الطباخ، وقال له: تعال صف له كيف صنعت هذا الطعام؟ فوصفه، فقال: هكذا جاء فِي القرآن؛ فتعجب النصرانِي! وقال: كيف ذلك؟ قال: إن الله ﷻ قال: "فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ" ونحن سألنا هذا الطباخ؛ لأنه أهل الخبرة والدراية. يقول الشيخ عبد الرحمن

السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ فِي الآية "وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ"[النساء-٨٣].

يقول: يؤخذ من هذه الآية قاعدة أدبية أنه يرد إلى أهل الاختصاص باختصاصهم. مريض تذهب تسأل الأطباء؛ تحتاج إلى العلم النافع تسأل العلماء وهكذا، فتسأل أهل الاختصاص فِي اختصاصهم فقال له: إن الله ﷻ يقول: "فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ" فبيّن لنا مفتاح العلم بالأشياء بأن نسأل أهل الذكر بِها أي: أهل العلم بِها وهذا من بيان القرآن بلا شك فالإحالة على من يحصل به من العلم هو فتح للعلم.

قال المُصنّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها كما قال تعالى: {وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرً} قال بعض المفسرين: هذه الآية عامة فِي كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة.

الشَّرح:

لا يأتِي مبطل بحجة على باطله إلا وفِي القرآن ما يبين هذه الحجة الباطلة؛ بل أن كل صاحب باطل استدل بباطله بدليل صحيح من الكتاب والسنة فهذا الدليل يكون دليلًا عليه كما تقدم وذكرناه عن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى لمّا ذكر فِي مقدمة كتابه "تعارض



النقل و العقل "أنه ما من صاحب بدعة وباطل يحتج لباطله بشيء من الكتاب أو من السنة الصحيحة إلا كان ذلك الدليل دليلًا عليه وليس دليلًا له".

قوله "قال بعض المفسرين: هذه الآية عامة فِي كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة" : يقول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ مستدلًا على أن الرجل الموحد ستكون له حجة وأبلغ وأبيّن من حجة غير الموحد مهما بلغ من الفصاحة والبيان كما قال تعالى: "وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا" (الفرقان-٣٣) " أي: لا يأتونك بمثل يجادلونك به ويلبسون الحق بالباطل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرًا، ولهذا نجد فِي القرآن كثيرًا ما يجيب الله تعالى عن أسئلة هؤلاء المشركين

وغيرهم ليبين عَجَّلَ للناس الحق وسيكون الحق بيّنًا لكل أحد، ولهذا هنا أمر يجب التفطن له وهو أنه لا ينبغي للإنسان أن يدخل فِي مجادلة أحد إلا بعد أن يعرف حجته ويكون مستعدًّا لدحرها والجواب عنها لأنه إذا دخل فِي غير معرفة صارت العاقبة عليه إلا أن يشاء الله؛ كما أن الإنسان لا يدخل فِي ميدان المعركة مع العدو إلا بسلاح وشجاعة.

قال المُصنّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

الفصل السابع الرد على أهل الباطل إجمالا وتفصيلا

وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله فِي كتابه جوابًا لكلام احتج به المشركون فِي زماننا علينا فنقول: جواب أهل الباطل من





طريقين: مجمل، ومفصل .

أمّا المجمل: فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة لمن عقلها وذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ﴾. وقد صحَّ عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: "إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمّى الله فاحذروهم".

الشَّرح:

المُصنّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى أتى بذكر بعض الحجج التي احتج بِها بعض الناس وكيف أن جوابَها موجود فِي القرآن.



فـذكر أنـه سـيذكر فِـي كتابـه هـذا كـل حجـة أتـى بِهـا المشركون ليحتجوا بِها عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ ويكشـف هـذه الشبهات لأنّها فِي الحقيقة ليست حججًا ولكنها تشبيه وتلبيس.

فالمصـنف سـيجيب عـن جميـع الشـبه الـواردة بجـواب مجمل وجواب مفصل فِي كل شبهة على أحد وهذا مـن أنفع ما يكون أن يؤتى بكلام مجمل، ثمّ بعد ذلك يفصل فيه. فيقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: أنه سيجيب على هـذه الشـبهات بجوابين _التي كان يطرحها أهل زمانه وهـي شبهات؛ لأن دائمًا يذكرها أهل الباطل قديمًا وحديثًا، فقال:

أحدهما: مجمل عام صالح لكل شبهة.



والثانِي: مفصل، وهكذا ينبغي لأهل العلم من باب المناظرة والمجادلة أن يأتوا بجواب مجمل حتى يشمل ما يحتمل أن يورده الملبسون المشبهون ويأتِي بجواب مفصل لكل مسألة بعينها، وذلك لأنه بالنسبة للإجمال هذه من طرائق أهل البدع؛ أهل البدع ما يفصلوا، بل يأتون بكلام مدمن أحكام الحق وباطل، لذلك يرد عليهم بجواب مجمل ثم بجواب يفصل، ولذلك دائما إذا أرادوا النفاذ أو عدم اتضاح أمرهم أو لكي لا ينكشفوا دائمًا يأتون بالمجمل ويحتجون بالمجمل ويذكرون الكلام المجمل، لكن إذا دخلت التفصيل والبيان هنا انكشف أمر المبطلين، وهذه الطريقة هي الطريقة الصحيحة المتبعة **يعني**: التفصيل بعد الإجمال

كما قال الله تعالى: "كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ" [هود-١]، فذكر الشيخ هذه الآية " هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ" فهناك آيات محكمة، وأحاديث محكمة واضحة بيّنة، وهي أكثر القرآن وأكثر الأحاديث لكن هناك آيات مشتبهة وأحاديث مشتبهة لحكمة أرادها الله ﷻ، فأهل الحق كل نص متشابه يردونه إلى النص المحكم الواضح البيّن؛ لأن الله يقول "فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ" أمّا أهل الباطل فيردون النصوص المحكمة البيّنة بنصوص متشابِهة، فإذا رأيت من هذه حالُه فاعلم أنه من

أهل الباطل، فذكر فِي الجواب المجمل أن هؤلاء الذين يتبعون المتشابه هم الذين فِي قلوبِهم زيغ كما صح ذلك عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قوله تعالى : " هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ " ولهذا تجد أهل الزيغ والعياذ بالله يأتون بالأيات المتشابِهة ليلبسوا بها على باطلهم فيقولون مثلا: قال الله تعالى: كذا، وقال: فِي موضع كذا، من أجل أن يلبسوا الحق بالباطل.

قوله "وقد صح عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: {إذا رأيتم الَّذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمّى الله فاحذروهم} " : استدل المصنف بِهذا الحديث على أن



الرجل الذي يتبع المتشابه من القرآن أو من السنة فصار يلبِّس به على باطله؛ فهؤلاء الذين وصفهم الله وسمّاهم بقوله : ثمّ أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحذر منهم فقال: **"فاحذرهم"** **يعني**: من أن يضلوكم عن سبيل الله باتباع المتشابه واحذروا طريقهم أيضًا؛ فالتَّحذير هنا يشمل التحذير عن طريقتهم والتحذير منهم أيضًا، يُحذّر منهم بأشخاصهم ويحذّر منهم بمناهجهم وطرقهم.

قال المُصنّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

مثال ذلك إذا قال بعض المشركين: {أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} [يونس: ٦٢]، أو أن الشفاعة حق، أو أن الأنبياء لهم جاه عند الله. أو ذكر كلاما للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستدل به على شيء من باطله"



الشَّرح:

هنا ضرب المؤلف مثلًا بأن يقول لك المشرك: أليس الله يقول: "أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ" أوليس يعني: للأولياء جاه عند الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى؟ أو ليست الشفاعة ثابتة بالقرآن والسنة وما أشبه ذلك من هذه الأشياء، فقل: نعم، كل هذا حق ولكن ليس فيه دليل على أن تشرك بِهؤلاء الأولياء أو بِهؤلاء الرسل أو بِهؤلاء الذين عندهم شفاعة عند الله ﷻ ودعوَاك أنّ هذا يدل على ذلك دعوة باطلة لا يحتج بِها إلا مبطل، وما أنت إلّا من الذين قال الله فيهم: " فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ" [آل عمران_٧]،

ولو أنَّك رددت هذا المتشابه إلى المحكم لعلمت أنّ هذا لا دليل فيه يعني: المبطل يأتِي بشبهة، فالله يقول: " الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون" وذكر الشفاعة، فأنا أطلب منهم الشفاعة وهذه أولياء لهم جاه عند الله، فالجواب أنك تستدل بالمتشابه وتترك المحكم.

قال المُصنّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

وما ذكرته لك من أن الله ذكر أن المشركين يقرون بالربوبية وأن كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء مع قولهم {هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ}، هذا أمر محكم بيّن لا يقدر أحد أن يغير معناه "

الشَّرح:

يعني: المشركين يقولون: ما عبدنا هؤلاء؛ إنَّما هو وسائط عند الله، فهل قبل الله منهم ذلك؟ لم يقبل؛ بل اعتبرهم كفّارًا، فإذا احتج أحد بمثل ما احتج به أولئك الكفار والمشركين يُرد عليه بمثل ما رُد على أولئك الكفار المشركين. فالمصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى يقول: كيف نرد المتشابه إلى المحكم؟ أن المشركين كانوا مقرون بتوحيد الربوبية ويؤمنون بذلك إيمانًا لا شك فيه عندهم؛ ولكنَّهم يعبدون الملائكة وغيرهم ويقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله ومع هذا كانوا مشركين، فاستباح النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دماءهم وأموالهم وهذا نص

محكم لا اشتباه فيه دالٌ على أنه لا شريك له فِي ألوهيته وفِي عبادته كما أنه لا شريك لـه فِي ربوبيتـه وملكـه وأنَّ من أشرك بالله فِي ألوهيته فهو مشـرك بـه وإن وحـده فِـي الربوبيـة؛ إذن إذا احـتج بالمتشـابه تحـتج عليـه المحكـم وتعلم أنه مبطل .

قال المُصنّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

وما ذكـرت لـي أيهـا المشـرك مـن القـرآن أو كـلام النبـي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا أعـرف معنـاه، ولكـن أقطـع أن كـلام الله لا يتناقض، وأن كـلام النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يخـالف كـلام الله"

الشَّرح:

أي: يريـد بقولـه لا أعـرف معنـاه" **أي**: لا أعـرف معنـاه



الذي أنت تدعيه، وإنني أنكره ولا أقر به؛ لأنني أعلم أن كلام الله لا يتناقض وأن كلام النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يخالف كلام الله {أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا} [سورة النساء: ٨٢]، قال تعالى: " وَنَزلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ" [النحل_٨٩]، وقال تعالى: "لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (النحل_٤٤)، وكلام الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يخالف كلام الله، وكذلك كلام الله لا ينقض بعضه بعضًا ولا يناقض بعضه بعضًا وقد أخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه لا شريك له وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ شَهادةِ أن لا إلَهَ إلَّا اللهُ وأنَّ محمَّدًا رسولُ اللهِ .." إلى آخر الحديث، وهذا كله يؤيد بعضه بعضًا ويدل على أن الله تعالى ليس

له شريك فِي ألوهيته كما أنه ليس له شريك فِي ربوبيته .

قوله "وما ذكرته لي" يعني: أيها المشرك من القرآن أو من كلام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كقولك أو قول أعطيت الشفاعة.

قوله "لا أعرف معناه" أي: لا أعرف دلالته على ما قصدت أنت وأردت أنّهم يدعون من دون الله. نعم، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ولكن أين دلالته على المقام الذي تدعيه؟ ما دلّ على أنهم يدعون من دون الله من أوصلهم إلى هذه الدرجة؟ أنت الذي تقول هذا! وأنا عندي شيء أقطع به كالشمس من النصوص كقول الله تعالى: " ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾"، وكقوله تعالى:" وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ

فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ"[المؤمنون-١١٧]، لكن تقول أنا أقطع أن كلام الله لا يتناقض، وأن كلام النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يخالف كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، فاعرف أن هذه الآية ونظائرها لا تنافِي هذه النصوص، فالنصوص يرد بعضها إلى بعض يرد متشابِهها إلى محكمها.

قال المُصنّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

وهذا جواب جيد سديد، ولكن لا يفهمه إلا من وفقه الله فلا تستهن به فإنه كما قال تعالى: {وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}.الشبهة الأولى: أن من أقر بتوحيد الربوبية ولم يقصد من الصالحين إلا الجاه والشفاعة فليس بمشرك

الشَّرح:

وهذا جواب سديد؛ لأنّ الذي تقدم ذكره. يعني: قول الإنسان لخصمه أن كلام الله تعالى لا يتناقض وأنّ كلام النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يخالف كلام الله وأنَّ الواجب رد المتشابه إلى المحكم وليس رد المحكم بالمتشابه فهذا من جاوب بِهذا الجواب أجاب بجواب سديد يعني: ساد لمحله لا يمكن لأحد أن ينقضه أو يرد عليه ما ينقضه؛ لأنه كلام بيّن محكم مبني على الدليلين السمعي والعقلي، وما كان كذلك فإنه جواب لا يمكن لأي مبطل أن ينقضه؛ إذن هذا هو الجواب المجمل الذي ذكره الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: أن كل ما يدَّعي به المتأخرون ويستدلون به من أهل الشفاعة وأهل الجاه

والأولياء هو نفس ما ادعى به المشركون الأوائل، وأن الجواب هو ما أجيب به على أولئك المشركين فِي زمن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنَّ غاية ما فِي الأمر أن يكون هذا من المتشابه والواجب على المسلم الذي يريد النجاة لنفسه أن يرد المتشابه إلى المحكم لا أن يرد المحكم بالمتشابه.

فهذا جواب سديد الذي ذكره هذا المؤلف من هذا الجواب المجمل، وأنه أصل أصيل فِي دفع شبه المشبه، فكذلك هذا الجواب بِهذه الصفة فإنك إذا وفقت للجواب بِهذا فقد وفقت لأمر عظيم فصار هذا الجواب عن هذه الشبه، فكم شبهة عندنا؟ ثلاثة شبه

ذكرها: الأولياء يدعون لعظيم منزلتهم، الشفاعة تطلب منهم مباشرة؛ لأن الله أعطاهم الشفاعة، والأنبياء لهم جاه فيسألون، والجواب عنها مركب من ثلاثة أمور.

أولًا: أن هذا من المتشابه **يعني**: استدلالك بِهذا من المتشابه وقد بيّن الله ﷻ أن الذين فِي قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه.

الثانِي: أن الأولين مقرون بالربوبية لم ينازعوا فيها، وأنّهم ما ادعوا إلا مثل ما ادعى هذا المشبه من طلب الشفاعة والقربى إلى الله بذلك، وأن الله كفرهم بذلك.

الثالث: تقول: أن معي نصوص محكمة لا تتناقض، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله ﷻ، وأن

المبطل يعني: عندما قال: "أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ" والله جعل شفاعة والأنبياء لهم جاه فهذا حقّ؛ لكن لا يدل على الباطل الذي يدعيه، فهذه ثلاثة شبه، والجواب عنها مركب من هذه الأجوبة:

الأول: أن هذه طريقة أهل الزيغ.

الثاني: أن المشركين أقروا بالربوبية وما عبدوا من دون الله إلا بدعوى أنه يقربهم إلى الله زلفى.

الثالث: أن النصوص المحكمة البينة تدل على أن هذا من الشرك. فهذا الجواب المجمل يجاب به عن كل شبهة يقولها المخالفون والمبطلون.

قال المُصنّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

وأما الجواب المفصَّل فإن أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل يصدون بها الناس عنه، منها قولهم: نحن لا نشرك بالله، بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضراً فضلاً عن عبد القادر أو غيره ولكن أنا مذنب والصالحون لهم جاه عند الله وأطلب من الله بهم فجَاوِبه بما تقدَّم؛ وهو أن الذين قاتلهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مقرون بما ذكرتَ، ومقرون أن أوثانهم لا تدبِّر شيئًا، وإنما أرادوا الجاه والشفاعة.

الشَّرح:



فشبهتهم الأولى: أن من أقر بتوحيد الربوبية ولم يقصد من الصالحين إلا الجاه والشفاعة فليس بمشرك .

قوله "**واطلب من الله بِهم**" **أي:** فأطلب منهم وهم يسألون ويطلبون لي ويقربونِي إلى الله زلفى لا أطلبهم ذواتهم، فهذه شبهتهم.

قوله "**فجاوبه بما تقدم..**" **أي:** أن الذين قاتلهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحكم بكفرهم مقرون بما ذكر أن الله هو الخالق الرازق المدبر المحيي المميت؛ لكنهم يدعون من دونه بدعوى يقربهم إلى الله زلفى، ومقرون أن أوزانهم لا تدبر شيئًا، وإنما أرادوا الجاه والشفاعة.

قال المُصنّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

وأقرأ عليهم ما الله فِي كتابه ووضحه" (١) "قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ"[يونس: ٣١]، ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ إلى قوله: "فَأَنَّى تُسْحَرُونَ"،[المؤمنون: ٨٤ _ ٨٩]، "وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (لقمان_٢٥)، "وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ" (العنكبوت_٦١)، وغير ذلك من الآيات

---

(١) قال الشارح: أي: الآيات



واقرأ عليه الآيات الدالة على أن الله كفرهم بشركهم في الإلهية، وأنهم ما أرادوا إلا شفاعتهم وتقريبهم، وأن هؤلاء ما زادوا على ما فعله المشركون الأولون، ليتبين (١) أنه فِي عماية عما جاءت به الرسل ومعاكسة لما جاء به الرسل كقوله تعالى: {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ}، وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ}، وقوله تعالى: {وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ* أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلا يُنْقِذُونِ}، وقوله تعالى: {وَلَقَدْ

---

(١) قال الشارح: ليتبين يعني هذا المدعي



جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ

الشَّرح:

الآيات كثيرة التي تدل على هذه المعانِي، فحاصل جواب الشبهة أن يقال لهذا: أنك ما زدت على ما أقر به المشركون ولا زاد فعلك عن فعلهم؛ بل أنت وهم سواء.

قال المُصنّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

فإن قال: هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام، كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام؟ أم كيف تجعلون الأنبياء



أصنامًا؟.!

فجاوِبه بما تقدم؛ فإنه إذا أقرَّ أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله وأنهم ما أرادوا ممن قصدوا إلا الشفاعة ولكن أراد أن يفرِّق بين فعلهم وفعله بما ذكر، فاذكر له أن الكفار منهم من يدعو الأصنام ومنهم من يدعو الأولياء الذين قال الله فيهم: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ} الآية، ويدعون عيسى ابن مريم وأمه وقد قال تعالى: {مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً وَاللهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} . وقوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ

إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾ فقل له: عرفت أن الله كفَّر من قصد الأصنام وكفر أيضًا من قصد الصالحين، وقاتلهم رسول الله ﷺ ولم يفرق بينهم.

الشَّرح:

أن الآيات هنا نزلت فِي من يعبد الأصنام ونحن لا نعبد الأصنام هكذا يقولون! والجواب: أن الكفار منهم من يعبد الأصنام ومنهم من يعبد الأولياء ومنهم من يدعو عيسى بن مريم وأمه، ومنهم من يعبد الملائكة ولا فرق بين المعبودات فِي أنّ شيئًا منها لا يصلح للألوهية،



فالكل شرك والكل مشركون كفّر الله من يعبد الأصنام ومن يعبد الصالحين ومن يعبد الملائكة، فدعواهم أن الشرك فقط فِي الأصنام هذا مردود، ودعواهم أن المشركين كانوا يعبدون الأصنام فقط هذا مردود بنفس الآيات وبنص آيات القرآن التي ذكر البعض منها. فقل للمشبه للشبهة السابقة عرفت أنّ الله كفّر من قصد الأصنام وكفّر من قصد الصالحين؛ بل لا بد أن ينضم إلى ذلك تكفيرهم واعتقاد ذلك، فمن لم يكفرهم دليل على أنه لا يرى عملهم كفرًا، وقاتلهم رسول الله ﷺ ولم يفرق بينهم من عبد صنمًا من عبد حجرًا من عبد ملكًا من عبد جنديًّا من عبد وليًا؛ بل جعل لهم واحدة وإن تفرقت معبوداتهم فكلها راجعة

إلـى شـيء واحـد وهـو عبـادة غيـر الله مـع الله، وبـذلك انكشـفت شـبهته واندحضـت حجتـه، وأنـه فِـي غايـة الجهالة عما جاء به الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ

قال المُصنّفُ رَحِمَهُٱللَّهُتَعَالَى:

فإن قال: الكفـار يريـدون منهم، وأنـا أشـهد أن الله هـو النـافع الضار المدبر لا أريد إلا منه، والصالحون ليس لهم من الأمـر شيء، ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم.

فالجواب أن هذا قول الكفار سـواءً بسـواء، واقـرأ عليـه قولـه تعالى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاّ لِيُقَرِّبُونَـا إِلَى اللهِ زُلْفَى}. وقوله تعالى: {وَيَقُولُونَ هَـؤُلاءِ شُـفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ}.

واعلم أن هذه الشُبَه الثلاث هي أكبر مـا عنـدهم. فـإذا عرفـت



أن الله وضَّحها لنا فِي كتابه وفهمتها فهما جيداً فما بعدها أيسر منها.

الشَّرح:

نعم، الشبهة الثالثة أن طلب الشفاعة منهم ليس بشرك، والجواب المختصر: أنّ هذا هو قول الكفار سواء بسواء **"ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى"** ليس لهم قصد إلا شيء واحد وهو طلب الشفاعة من رب الجميع .

قوله **"فإن قال الكفار يريدون منهم" يعني**: إذا قال هذا صاحب الشبهة **"الكفار يريدون منهم"** كيف يريدون منهم؟ **يعني**: أنّهم يريدون من الآلهة التي يدعون ويطلبون منهم؛ لأنّهم أبواب حوائجهم إلى الله، فهم

يباشرونَهم بالعبادات وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار. لكن أقصدهم للشفاعة، فالجواب أن هذا قول الكفار سواء بسواء واقرأ عليه قوله تعالى: "وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى"، وقوله تعالى: "وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ" فإن فِي هذه الآية إلا أن يقربونا إلى الله زلفى حصر مطلوبِهم، وهو شيء واحد. يقولون: ليس لنا صلاحية السؤال من الله فنطلب منهم وهم يطلبون لنا من الله ليقربونا إلى الله زلفى. وقوله " وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ": فبهذه الآية بيان أنه ليس لهم قصد إلا شيء واحد وهو طلب الشفاعة إلى رب الجميع .

قوله "**واعلم أن هذه الشُبَه الثلاث هي أكبر ما عندهم**":



ما هي الشبه الثلاثة؟

الأولى: انتفاع الشرك مع الإقرار بتوحيد الربوبية أنه إذا قرر بتوحيد الربوبية ما يقع منه شرك

الثانية: شبهة حصر الشرك فِي عبادة الأصنام.

الثالثة: شبهة أن الكفار يريدون منهم وأن هو لا يريد منهم.

فالشبهة الأولى : أنّ من أقر بتوحيد الربوبية إنما قصد الجاه وهذا ليس شرك، والجواب عنها؟ أن الذين قاتلهم الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يقرون بذلك.

الشبهة الثانية يقولون: أن الآيات نزلت فِي من يعبد



الأصنام والمشركون يعبدونَها ونحن لا نعبدها، أن الكفار منهم من يعبد الأصنام ومنهم من يعبد الملائكة ومنهم من يعبد الجن ومنهم من يعبد الأولياء.

الشبه الثالثة: طلب الشفاعة ليس بشرك أن هذا هو قول الكفار سواء بسواء فإذا عرفت يا عبد الله أن الله وضحها فِي كتابه وفهمتها فهمًا جيدًا فما بعدها أيسر منها، إذا عرفت هذه الشبه الثلاث أنّه إذا أقر بتوحد الربوبية خلاص ما يقع منه شرك، وأن الشرك هو فقط عبادة الأصنام وأنهم يريدون منهم يعني: المشركين وأما هو فقط يطلب جاههم، فإذا عرفت أن الله أوضح هذه تمام الوضوح أو تمام الإيضاح فما بعدها من شبه يكون أسهل وأيسر .

قال المُصنّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

الفصل الثامن الرد على من زعم أن الدعاء ليس بعبادة

فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله وهذا الالتجاء إلى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة فقل له أنت تقر أن الله فرض عليك إخلاص العبادة لله وهو حقه عليك، فإذا قال: نعم؛ فقل له (١) بين لي هذا الذي فرض عليك وهو إخلاص العبادة لله وحده وهو حقه عليك. فإن كان لا يعرف العبادة ولا أنواعها فبينها له بقولك: قال الله تعالى: {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}[الأعراف: ٥٥].

---

(١)قال الشارح: يعني: قل لصاحب الشبهة



الشَّرح:

وهذه الشبهة الرابعة، نفيهم عبادة الصالحين مع أنّهم يدعونَهم أو يذبحون لهم ويقرون بأن هذا عبادة وأن المشركين الأولين هكذا كانت عبادتهم وإنْ هذه عبادة أو جهلوا فهذه الآيات والأحاديث التي ذكرها المصنف تبين ذلك **يعني**: الشبهة الرابعة؛ ينفون أن هذا عبادة دعاءهم للصالحين أو الذبح أو النذر لهم.

قوله "**فبيّنها له قل له معنى العبادة بقولك قال الله تعالى**: "**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**" **يعني**: بيّن لصاحب الشبهة أن الدعاء والطلب عبادة وأحد تعريف العبادة أنه ما أمر به شرعًا وقد أمرنا الله تعالى



بدعائه وحده تقول قول الله تعالى}ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ" وهذه الآية تفيد ذلك أنه يحبه ويرضاه والأمر عبادة.

قال المُصنّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

فإذا أعلمته بهذا، فقل له هل علمت هذا عبادة الله؟ فلا بد أن يقول: نعم. والدعاء مخ العبادة. فقل له: إذا أقررت أنها عبادة ودعوت الله ليلا ونهارا خوفا وطمعا ثم دعوت فِي تلك الحاجة نبيا أو غيره هل أشركت فِي عبادة الله غيره؟ فلا بد أن يقول: نعم. فقل له: فإذا عملت بقول الله تعالى: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} [الكوثر: ٢]، وأطعت الله ونحرت له هل هذا عبادة؟ فلا بد أن يقول: نعم.

فقل له: فإن نحرت لمخلوق نبي أو جني أو غيرهما هل



أشركت فِي هذه العبادة غير الله؟ فلا بد أن يقر ويقول: نعم.

وقل له أيضا: المشركون الذين نزل فيهم القرآن، هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك؟ فلا بد أن يقول: نعم.

فقل له: وهل كانت عبادتهم إياهم إلا فِي الدعاء والذبح، والالتجاء ونحو ذلك؟ وإلا فهم مقرون أنهم عبيده وتحت قهره، وأن الله هو الذي يدبر الأمر ولكن دعوهم والتجأوا إليهم للجاه والشفاعة وهذا ظاهر جدًّا.

الشَّرح:

يعني: بعبادة الدعاء فِي عبادة الله غيره فلابد أن يقول نعم. إن كان عنده التفات إلى الدليل، فإنَّ من لازم



إقراره بالأولى إقراره بالثانية فبذلك انكشفت شبهته، ثم ذكر شيئًا آخر قال: فلابد أن يقول نعم، فقل: إذا عملت بقول الله تعالى" فصل لربك وانحر"، وأطعت الله ونحرت له هل هذه عبادة؟ فيقول لك: نعم. فلابد أن نعم، فقل له: طيب؛ إذا نحرت لمخلوق نبيٍّ أو جنِّي أو غيرهما هل أشركت مع الله فِي غيره؟ هل أشركت فِي هذه العبادة غير الله؟ فلا بد أن يقر ويقول: نعم، لابد أن يقر ما يمكن أن يجحد الثانِي بعد الأول؛ بل إقراره بالأول يلزمه الإقرار بالثانِي لمَّا أقرَّ أن هذا عبادة أنَّ النحر لله عبادة طيب وإذا نحرها لغير الله؟ فهي هي عبادة! فإما أن تكون لله أو تكون لغير الله وكذلك سائر العبادات. إما أن يقر أنَّها عبادة أو لا، فإن أنكر كونِها

عبادة أقيمت عليه الحجة، فإذا أقر أنَّها ليست عبادة خلاص خُسر! فبهذا ظهر واتضح جهله وظلاله وانكشفت شبهته وأن قوله: أنا لا أعبد إلا الله محض جهل منه. كيف لا يعبد إلا الله وهو ينحر لغير الله ويذبح لغير الله ويدعو غير الله؟ وأن هذا عبادة لغير الله وتبين أنه عابد غير الله ما يصنعه معهم عبادة لهم وأنه عابد لله وعابد معه غيره. وقل له أيضا: المشركون الذين نزل فيهم القرآن هل كانوا يعبدون الملائكة؟ والصالحين واللات غير ذلك؟ فلابد أن يقول: نعم، لأن المشركين يعبدون هؤلاء، فقل له: وهل كانت عبادتهم إياه؟ فِي أي شيء كانوا يعبدون هؤلاء؟ فِي الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك. فلابد أن يقول: نعم، لا يمكنه أن ينكر شيئًا

أثبته القرآن، والنصوص الدالة على ذلك كبيرة. إذا تقول له هل كانت عبادتهم إياه إلا فِي الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك هذه عبادتهم هل هو هذا أو غيره؟ فإنه لا يجد دليلًا غير هذا، فقل له: أنا عندي دليل وهو أن عبادتهم فِي هذه الأشياء المذكورة ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وإلا هم مقرون أنّهم عبيده وتحت قهره، وأن الله هو الذي يدبر الأمر ولكن دعواهم والتجاؤهم إلى هؤلاء إنما دعوهم والتجأوا إليهم لأجل الشفاعة وهذا ظاهر جدًّا فِي كشف شبهتهم.

قال المُصنّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

الفصل التاسع الفرق بين الشفاعة الشرعية والشركية

فإن قال: أتنكر شفاعة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وتتبرأ منها؟ فقل: لا أنكرها، ولا أتبرأ منها، بل هو صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الشافع المشفع وأرجو شفاعته، ولكن الشفاعة كلها لله كما قال تعالى: "قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا".[الزمر: ٤٤]، ولا تكون إلا من بعد إذن الله، كما قال تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ} . ولا يشفع فِي أحد إلا بعد أن يأذن الله فيه كما قال تعالى: {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى} وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد كما قال تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ} فإذا كانت الشفاعة كلها لله ولا تكون إلا من بعد إذنه ولا يشفع النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ولا غيره فِي أحد حتى يأذن الله فيه، ولا يأذن الله إلا لأهل التوحيد تبيَّن لك أن الشفاعة كلها لله؛ وأطلبها منه



فأقول: اللهم لا تحرمني شفاعته، اللهم شفِّعه فيَّ، وأمثال هذا..

الشَّرح:

فهذه الشبهة الخامسة، هم يقولون إذا اعترضت عليهم لما يأتونِي إلى الولي أو لصاحب قبر ويطلب منه ابتداء.

فهم يقولون: أن من ينكر طلب الشفاعة من الرسول ﷺ والصالحين فهو منكر لشفاعة الرسول ﷺ ومنتقص لأولياء، والجواب: أن الأمر بالعكس، فإن نصوص القرآن والسنة بيّنت أن الشفاعة ملك لله، وإذا كانت ملك لله من الذي يملكها؟ الله ﷻ ولا تكون إلا من بعدي إذنه ولا يأذن الله إلا لأهل

التوحيد وأن طلبها من غير الله شرك وهو سبب حرمانها، فالموحد لا ينكر شفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا شفاعة الشفاعة لكنّ الشفاعة لله جميعًا، فيطلبها من مالكها الذي هو الله عَزَّ وَجَلَّ .

قال المُصنّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

فإن قال: النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُعطِيَ الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله.

فالجواب أن الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا فقال تعالى: {فَلا تَدْعُو مَعَ اللهِ أَحَداً} . فإذا كنت تدعو الله أن يشفِّع نبيه فيك فَأَطِعْهُ فِي قوله: {فَلا تَدْعُو مَعَ اللهِ أَحَداً} وأيضًا فإن الشفاعة أعطيها غيرُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فصحَّ أن الملائكة يشفعون، والأفراط يشفعون، والأولياء



يشفعون: أتقول إن الله أعطاهم الشفاعة فاطلبها منهم؟ فإن قلت هذا، رجعت إلى عبادة الصالحين التي ذكرها الله في كتابه. وإن قلت لا. بطل قولك أعطاه الله الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله.

الشَّرح:

وهذه الشبهة السادسة، لاحظ! يعني: لما أجيب عن شبهتهم السابقة وأن الشفاعة لله جميعًا جابوا شبهة أخرى وهي أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعطي الشفاعة وأنها تطلب منه، والجواب أن الله عَزَّ وَجَلَّ أعطاه الشفاعة إعطاء مقيدًا لا مطلقًا، وشفاعته للعصاة لا للمشركين، وأيضًا الشفاعة أعطيها غير الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا يدل على

أنه يعطيها من سألها ولا أنّها تطلب منه، وإنما تطلب من الله ﷻ، فلذلك المصنف يقول: أن الله أعطاه الشفاعة ونَهاك عن هذا، فقال: فلا تدعو مع الله أحدًا، فإن كنت تدعو الله أن يُشفع نبيه فيك فأطعه فِي قوله لا تدعو مع الله أحدًا .

الجواب الثانِي يقال: أن الشفاعة أعطيها غير النبي ﷺ الملائكة يشفعون الأولياء يشفعون الإفراط يشفعون. أتقول: أن الله أعطاهم الشفاعة فاطلبها منه تطلبها من الأفراط فإن قلت: هذا رجعت عبادة الصالحين التي ذكرها الله فِي كتابه وإن قلت لا بطل قولك اعطاه الله الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه واتضح لك أن كون شخص يعطيها لا يدل على أنه يعطيها من

سألها الشخص و لا لزم من ذلك أن يكون كل من طلب الشفاعة يعطى إياها من مسألة و لفسدت الشرائع، فدل على أن عطاء الشفاعة مقيد وليس دالا على أنّها تطلب منه، ولو كانت تطلب منه لكان الصحابة أول من يطلبها منه، هل ذهب أحد من الصحابة إلى قبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حال الضرر الذي يصيبهم فطلبوا منه أن يفعل؟ ما حصل؛ بل أنكر زين العابدين على من أتى إلى فرجة كانت عند قبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيدخل فيها فيدعو، وحينئذ انكشفت شبهته واندحضت حجته وتبين لك بذلك جهله وضلاله.

قال المُصنّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

فإن قال: أنا لا أشرك بالله شيئًا، حاشا وكلاًّ، ولكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك. فقل له: إذا كنت تقر أن الله حرَّم الشرك أعظم من تحريم الزنا، وتقر أن الله لا يغفره، فما هذا الأمر الذي حرمه الله وذكر أنه لا يغفره؟ فإنه لا يدري، فقل له: كيف تبرِّيء نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه؟ كيف يحرم الله عليك هذا ويذكر أنه لا يغفره ولا تسأل عنه ولا تعرفه؟! أتظن أن الله يحرمه ولا يبينه لنا.

الشَّرح:

وهذه الشبهة السابعة، يقولون: أن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك فمن يلتجئ إليهم ليس مشركًا،



فالجواب: بالتحدي، يُسأل عن الشرك ما هو الشرك؟ وعن عبادة الله ما هي عبادة الله؟ فإنه لا يدري ما هو التوحيد؟ ولا ما هو الشرك الذي وقع فيه؟ وإذا كان لا يدري هل يقبل قوله؟ ما يقبل قوله، فلذلك قال المصنف: فإن قال أنا لا أشرك بالله شيئا حاشا وكلا ولكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك فقل له إذا كنت تقر أن الله حرم الشرك وأعظم من تحريم الزنا وتقر أن الله لا يغفره فمهد الأمر الذي حرمه الله وذكر أنه لا يغفره فإنه لا يدري. فقل له: كيف تبرئ نفسك من الشرك وانت لا تعرفه؟ كيف يحرم الله عليك هذا، ويذكر أنه لا يغفره ولا تسأل عنه ولا تعرفه؟ أتظن أن الله يحرمه ولا يبينه لنا؟ الله بيّنه غاية البيان، فإن ظن ذلك

فقد ضل ضلالًا أعظم من ضلاله الأول وأضف إلى ذلك كفرًا آخر، وإنّما صدر منه ذلك لأنه كان فيه واستحكم فيه هذا الأمر ولا درى أنه فِي الشرك، فإن الله بيّن لنا الدقيق والجليل وأكمل لنا الدين.

قال المُصنّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

فإن قال: الشرك عبادة الأصنام ونحن لا نعبد الأصنام، فقل له: ما معنى عبادة الأصنام؟ أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمرَ من دعاها؟ فهذا يكذبه القرآن. وإن قال: هو من قصد خشبة أو حجراً أو بنية على قبر أو غيره؛ يدعون ذلك ويذبحون له، ويقولون إنه يُقرِّبنا إلى الله زُلْفَى ويدفع الله عنا ببركته، أو يعطينا ببركته. فقل: صدقت وهذا هو فعلكم عند الأحجار والأبنية التي



على القبور وغيرها. فهذا أقرَّ أن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام، فهو المطلوب. وسر المسألة أنه إذا قال: أنا لا أشرك بالله، فقل له: وما الشرك بالله؟ فسِّره لي. فإن قال: هو عبادة الأصنام، فقل: وما معنى عبادة الأصنام؟ فسِّرها لي. فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله وحده، فقل: ما معنى عبادة الله وحده؟ فسرها لي. فإن فسرها بما بينه القرآن فهو المطلوب وإن لم يعرفه فكيف يدَّعي شيئًا وهو لا يعرفه، وإن فسر ذلك بغير معناه بينت له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان أنه الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه، وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي التي ينكرون علينا ويصيحون فيه كما صاح إخوانهم حيث قالوا: {أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} .

الشَّرح:

وهـذه الشـبهة الثامنـة، خلاصـتها قـولهم: الشـرك عبـادة الأصنام ونحـن لا نعبـد الأصـنام، فيقـال لهـم: هـل هـم يعتقدون أنها تخلق وترزق؟ وإن قـال: مـن قصـد خشـبة أو حجرًا أو أبنية على قبر أو غيره يدعونه ويـذبحون لـه؟ يقولـون: أنه يقربنـا إلـى زلفـى ويـدفع الله بـه عنـا ببركتـه، فهذا تفسير صـحيح لعبـادة الأصـنام، وهـو فعلكـم بعينـه مع أن الشرك ليس مخصوصًا بعبادة الأصنام، فـإن قـال: الشرك عبادة الأصنام ويقـول المصـنف: ونحـن لا نعبـد الأصنام" قلنـا لـه: مـا عبـادة الاصـنام؟ هـل تخلـق؟ هـل تـرزق؟ هـل كـذا؟ طبعًـا يقولـون: لا، فهـذا لا يقـول بـه. طيب والـذي يـأتِي الخشـب والأحجـار هـل يعتقـد أنَّهـا

تخلق وترزق وتدبر من دعاها؟ هذا يكذبه القرآن، وإن قال هو: أنّهم يدعون ذلك ويذبحون لهم يقولون: يقربنا إلى الله زلفى ويدفع الله ببركته. يقال هنا: صدقت، وهذا هو فعلكم عند الأحجار والأبنية التي على القبور، فهنا يكن أقر أن فعلهم هذا هو عبادة مثل عبادة الأصنام فهو المطلوب، ويقال له أيضًا: قولك الشرك الأصنام؟ هل مرادك أن الشرك مخصوص بِهذه وأن الاعتماد على الصالحين ودعائهم لا يدخل فِي ذلك؟ فهذا يرده ما ذكره الله ﷻ فِي كتابه من كفر من تعلق على الملائكة أو عيسى أو الصالحين، فلابد أن يقر لك أن من أشرك بعبادة الله أحدًا من الصالحين فهذا هو الشرك المذكور فِي القرآن، وهذا هو المطلوب .

فيقول: وسر المسألة، كلام يتضح فِي سر المسألة أنه إذا قال: أنا لا أشرك بالله مع هذه الأفعال التي يفعلها، فقل له: ما الشرك بالله فسره لي؟، فإن قال: هو عبادة الأصنام. قل: ما هي عبادة الاصنام فسرها لي؟ فإن قال أنا لا أعبد إلا الله وحده، طيب! قل: ما معنى شرك المسألة، أنه إذا قال: أنا لا أشرك بالله مع هذه الأفعال التي يفعلها، يقول: أنا لا أشرك بالله، فقل له: ما الشرك بالله فسره لي؟ فإن قال: هو عبادة الأصنام، قل: ما هي عبادة الأصنام فسرها لي؟ فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله وحده، طيب! قل: ما معنى عبادة الله وحده فسرها لي؟ فإن فسرها بما بيّنه القرآن فهو المطلوب، وإن لم يعرفه فكيف يدّعي شيئًا وهو لا يعرفه وإن فسر بغير معناه بيّن

لـه بالآيـات الواضـحات معنـى الشـرك، ومعنـى عبـادة الأوثـان. وحاصـل الجـواب عـن الشـبه الثلاثـة أنـك تتحداه، فله ثلاثة أحوال:

أحـدها: أن يتوقـف فقـل لـه: أنـت لا تعـرف الحـق مـن البـاطـل، فـإذا حـاد ولا درى و وقـف فهـو كـافٍ فِـي رد الشبهة، وحينئذ كفانا مؤونة جوابه، فإن هـذا حـال كثير ممّـن يعبـد الأصـنام لا يـدري عـن الشـرك ولا أهلـه ولا دَرَى عـن عبـادة الأصـنام ولا ميـز عبـادة الأصـنام مـن غيرهـا، وإن فسـرها بمـا فسـره القـرآن فهـذا أيضًـا كفانـا مؤونته، وهدم أصله الذي بنى عليه؛ إن فسـرها بالباطـل المخـالف لتفسـير القـرآن بيّنـت لـه الآيـات الواضـحات

بمعنى الشرك وعبادة الأوثان فالحاصل أنّه يتحصل منه تسعة صور من ضرب ثلاثة الشبه فِي جوابه، فهذه الثلاث إما يتوقف أو لا يدري أو يفسرها بما يخالف القرآن، فإذا ضربت كل واحدة فِي ثلاث تصبح تسعة صور، وأن عبادة الله وحده لا شريك له وهو توحيده هي التي ينكرونُها علينا ويصيحون فيها كما صاح إخوانهم يعني: من المشركين؛ لأن المشركين قالوا: إذا قيل لهم قولوا: لا إله إلا الله؛ لأنّهم يعرفون معناها يخلصون العبادة لله قال:" أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ" وبه تعرف أنّ كثيرًا ممن ينتسب إلى الإسلام من هذه الأمة ليسوا على الدين وإنما معهم اسمه فقط ولا يعرفون ما هو شرك الأولين فلو عرف

أحد شرك الأولين وشرك أهل هذا الزمان لوجده هو هو؛ بل مشركو هذه الأزمنة كما سيأتِي معنا أعظم من شرك أولئك بكثير كما سيذكره المصنف، فشرك الأولين ليس أكثر من اعتقادهم أنّ أحدهم يطلب ممن يعتقد فيه أن يطلب له من الله، وأنه باب وسائطهم وحوائجهم إلى الله تعالى، كما قال تعالى: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى}.

قال المُصنّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

فإذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون فِي زماننا الاعتقادَ هو الشرك الذي نزل فيه القرآن وقاتل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الناسَ عليه؛.

الشَّرح:

يعني: هو يسمونه التوسل، هو الشرك الأكبر الذي كان عليه قريش وأضرابهم الذي نزل فيه القرآن وقاتل رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ الناس عليه وتحققت مما تقدم لك من كشف الشبه المتقدمة. يعني: هم يسمون اعتقاد يسمون التوسل بالصالحين بالأولياء بالأنبياء لكن حقيقته الشرك الذي نزل فيه وقاتل الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ الناس من أجله.

قال المُصنّفُ رَحِمَهُٱللَّهُتَعَالَى:

فاعلم أن شركَ الأولين أخفُّ من شرك أهل زماننا بأمرين أحدهما: أن الأولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء والأوثان مع الله إلا فِي الرخاء، وأما فِي الشدة



فيخلصون لله الدعاء كما قال تعالى: {وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُوراً} وقال تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ} . وقال تعالى: {وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا} إلى قوله: {قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ} وقوله: {وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} .

الشَّرح:

يعني: أخف من شرك أهل زمان الشيخ الذي هو فيه؛ بأمرين



يعني: يقول أن مشركين الأولين أخف من مشركي الزمان المتأخر، فالأولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء والأوثان مع الله إلا فِي الرخاء، أمّا فِي الشدة فيخلص لله مثل هذه الآيات التي ذكرها المصنف، فهذه الآيات ونظائرها دالة على أنّهم فِي الرخاء يشركون وفِي الشدة يخلصون، فِي الشدة لا يدعون إلا الله وحده لا شريك له، أما فِي الزمان المتأخر فشركهم فِي الحالتين جميعًا؛ بل إذا كانوا فِي الشدة نسوا الله بالكلية ولهجوا بمعبوداتِهم من دون الله؛ والعياذ بالله، فأهل الزمان المتأخر إذا ركبوا فِي الفلك وتلاطمت عليهم الأمواج لهجوا بمن يدعونه من دون الله، سواء كان من الأموات أو من غيرهم، هذا يقول: يا

متبولي يا عيد روس يا بدوي يا عبد القادر يا علي يا حسن يا فلان أين شرك هؤلاء من شرك الأولين؟ بيْن الشركين فرق بعيد؛ بل مشركو زماننا زادوا فِي شركهم بفنون زادوها وضروب جددوها.

قال المُصنّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

فمَن فهِم هذه المسألة التي وضَّحها الله فِي كتابه؛ وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعون الله تعالى ويدعون غيره في الرخاء، وأما فِي الضر والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له، وينسون سادتهم، تبيَّن له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين.

ولكن أين من يفهم قلبُه هذه المسألة فهمًا جيداً راسخًا، والله المستعان.



الشَّرح:

يعني: أن شرك أهل زماننا أعظم وأكبر وأطم، وإنّما ضلوا بتركهم القرآن والإعراض عنه والتفهم والتدبر للقرآن؛ ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهمًا جيدًا راسخا لينجو من الجهل، ولا يظن أن المراد أنهم قوم كانوا فبانوا يعني: انتهوا، وفِي الحقيقة إن كانوا وبانوا فقد أعقبوا من هو شر منهم بكثير، والله المستعان.

قال المُصنّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

الأمر الثانِي: أن الأولين يدعون مع اللهِ أُنَاسًا مقرَّبين عند الله؛ إما أنبياء وإما أولياء وإما ملائكة، أو يدعون أحجاراً أو أشجاراً مطيعةً لله ليست عاصية، وأهلُ زماننا يدعون مع اللهِ



أُناسًا من أفسق الناس، والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من الزنا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك؛ والذي يعتقد في الصالح أو الذي لا يعصي مثل الخشب والحجر أهون ممن يعتقد فيمن يُشاهد فسقه وفساده ويشهد به.

الشَّرح:

فقد تقدم الأمر الأول الذي صار به المشركون الأولون أخف شركًا منها لزماننا أن المشركين الأولين يدعون مع الله أناسًا مقربين عند الله إما أنبياء وإما أولياء وإما ملائكة أو يدعون أحجارًا أو أشجارًا مطيعًا لله وليست عاصيًا. فالكائنات كلها مطيعة لله ﷻ "ما مِّن شَيْءٍ إِلَّا

يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ" (الإسراء_٤٤)، "**وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ** ۩" (الرعد_١٥)، فأهل زماننا **يعني**: فِي زمان الشيخ ومن بعده ومن قبله بقليل يدعون مع الله أناسًا من أفسق الناس، **يعني**: لو قرأتم فِي طبقات الشعرانِي لرأيتم العجب العجاب يفعلون هذا الذي يسمونه الذين هم يذهبون إليه يفعل القبائح والذنوب جهارًا نَهارًا أمام الناس، ومع ذلك يقولون: ولي! يتمسحون به يتبركون به، والحقيقة أنّهم أولياء للشياطين.

فقوله رحمه الله "بل منهم من يدعو اناس" **يعني**: تبين فسقهم وفجورهم ومجاهرتهم بذلك، ومع ذلك يدّعون لهم الولاية، فمن يدعو أناسًا من أكثر الناس؛ بل بعضهم



أكثر من اليهود والنصارى كالذين يدعون الإمام أهل وحدة الوجود الإمام ابن عربي **"الرب عبد والعبد رب"** ما فِي فرق، فالآن هو بالعربي عليه قبة فِي الشام، والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم مثل ما ذكر الشيخ هنا الفجور والزنا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك الذي يعتقد فِي الصالح أو الذي لا يعصي وهو الخشب والشجر والحجر أهون ممن يعتقد فِي هؤلاء الذين أظهروا الفسق والمعاصي ومع ذلك يسموْن بالولاية فإنه معلوم أن من دعا مع الله غيره من أي شيء كان فهو كافر وصارف حق رب العالمين لغيره وكون ذلك المصروف لنبي أو غيره لا ينجيه من الشرك؛ ولكنه أهون من الثانِي فإن الثانِي عظّم من لا يعظّم بوجه وهو

كالمعاند أيضًا، فالنصوص الشرعية دلت على نقص هذا وأنه مردول ومهين وهذا عاكس الشرع، وجعله معظمًا فصار شركه أعظم، وإن كان كل شرك وكفر وضلال فظهر بِهذا صحة ما قاله المصنف: أن شرك مشرك زماننا أعظم وأغلظ من شرك المشركين الأولين، لكن الأولين عندهم شبهة أهل الجاهلية وأنّه معظّم فِي الجملة والذي يدعو فاسقًا أو كافرًا يطلب ممن كان ممقوتا مذمومًا فِي الشرع ويعبده فكان معاندًا للشرع.

فاستويَا فِي أن الكل شرك، وافترقا فِي من هو معظّم فِي الجملة، والثانِي: عظّم من ليس معظمًا بحال، فصار أعظم شركًا؛ فإن الأولين لو عظموهم بغير الشرك لكان سائغًا، والفاسق ونحوه لو عظم بدون عبادة له لكان

المعظم له عاصيًا إذا كان معبوده تقام عليه الحدود أو فاسقًا.

قال المُصنّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

ذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصح عقولاً وأخف شركًا من هؤلاء فاعلم أن لهؤلاء شبهةً يُورِدونها على ما ذكرنا، وهي من أعظم شبههم، فأصغ سمعك لجوابها، وهي أنهم يقولون إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله، ويكذبون الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وينكرون البعث، ويكذبون القرآن ويجعلونه سحراً. ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ونصدق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلي ونصوم، فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟.

الشَّرح:

وهذه الشبهة التاسعة، **يعني:** قولهم إنكم تكفرون المسلمين تجعلوننا مثل المشركين الأولين، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله والمصدق بالبعث، نصلي نصوم نحج، وهم بالعكس، كيف تجعلون من معه هذه الخصال وهذه الفروق كمن ليس فيه منها شيء؟

فالمصنف أجاب تسع أجوبة:

قال المُصنّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

فالجواب أن لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدَّق



رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شيء وكذَّبه فِي شيء أنه كافر لم يدخل فِي الإسلام، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة أو أقر بهذا كله وجحد الصوم أو أقر بهذا كله وجحد الحج. ولما لم يَنْقَد أناسٌ فِي زمن النبي صلى الله عليه وسلم للحج أنزل الله فِي حقهم {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} ومن أقر بهذا كله وجحد البعث كفر بالإجماع وحل دمُه ومالُه كما قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً} الآية. فإذا كان الله قد صرح فِي كتابه أن مَن آمن ببعض وكفر ببعض

فهو الكافر حقـاً زالـت هـذه الشـبهة، وهـذه هي التي ذكرهـا بعض أهل الأحساء في كتابه الذي أرسله إلينا.

الشَّرح:

يعني: الجواب الأول كيف نحن نشـهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمـدا رسـول الله نصـلي نصـوم إلـى آخـره يقـول: كيـف تكفروننـا؟ الجـواب عمـا اعترضـوا بـه مـن هـذه الفـروق التـي زعمـوا أنّها تـؤثر أن الفـروق منقسـمة إلـى قسـمين : فـرق تـؤثر، وفـرق لا تـؤثر؛ فإنـه بالإجمـاع أن هذه الفروق التي ذكروها لا تـؤثر. يعني: لا خـلاف بـين العلمـاء أي: كـل العلمـاء، أن الرجـل إذا صـدق الرسـول فِي شيء وكذبه فِي شيء أنه كافر لم يدخل فِي الإسلام،

وكذلك إذا ءامن بالقرآن وجحد بعضه، كمن أقر بالتوحيد وجحد الصلاة، أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة، أو أقر بِهذا كله وجحد الصوم أو أقر بِهذا كله وجحد الحج. ولذلك لمّا لم ينقد أناس فِي زمن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للحج أنزل الله فِي حقهم "وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ" فمن أقر بِهذا كله وجحد بالبعث كفر بالإجماع وحلّ دمه وماله، فإذا كان الله قد صرح فِي كتابه أن من ءامن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقًّا زالت الشبهة؛ لأن الإنسان قد يقول لا إله إلا الله وينقضها فهذا الجواب الأول.

قال المُصنّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

ويقال أيضًا: إن كنت تُقِرّ أن من صدق الرسول فِي كل شيء وجحد وجوب الصلاة فهو كافر حلال الدم والمال بالإجماع، وكذلك إذا أقر بكل شيء إلا البعث، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان وصدق بذلك كله لا يجحد هذا ولا تختلف المذاهب فيه وقد نطق به القرآن كما قدمنا فكيف إذا جحد الإنسان شيئًا من هذه الأمور كَفَر ولو عمل بكل ما جاء به الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر؟ سبحان الله، ما أعجب هذا الجهل!.

الشَّرح:



فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بِها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج فكيف إذا جحد اللسان شيئًا من هذه الامور؟! يكفر ولو عمل بكل ما جاء به الرسول، وإذا جاحد التوحيد الذي هو الأصل دين الرسل كلهم لا يكفر! يعني: يصير هذا إذا جحد واحد من أركان الإسلام يكفر؛ فكيف بمن جحد التوحيد الذي هو أساس الملة والدين؟! لأنه أعظم لا ينفعه تصديقه بكل ما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فالأصل إذا صار جحد فرع من فروع الدين كفرًا، فكيف بجحد الأصل وهو التوحيد؟! فلو قدر وهو لا يكون أن هذه الفروع كلها من الصلاة وما بعدها معصية ولا عظيمة لكان جحد

التوحيد كفرًا برأسه فكيف وهو الأصل؟! فإن هذا الجهل فِي مكان لا يجحد هذا الخصم أن يخرج من الإسلام بمفرده؛ يجعلون من يهدم أساس الدِّين صباحًا ومساءً أنه مسلم لكونه يدعي الإسلام والذي يجحد وجوب الزكاة ولو كان يؤديها كافر بالإجماع فالمصنف يقول: سبحان الله ما أعجب هذا الجهل! لأن جهل هؤلاء من أعجب جهل. يعني: كون الواحد منهم يقر أن جحد الصلاة كفر بالإجماع أو جحد غيرها من أركان الإسلام كفر وجحد التوحيد ليس بكفر! يعني: لو قدر أنّها لا تكفر وهو لا يقدر فجحد التوحيد وحده يكفر، والدليل أن الأصل لا يزولون بزوال الفرعي بخلاف الفرع فإنه يزول بزوال أصله كالحائط والشجرة إذا زال

أصله زال فرعه.

قال المُصنّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

ويقال أيضًا: هؤلاء أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاتلوا بني حنيفة وقد أسلموا مع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويؤذِّنون ويصلون. فإن قال إنهم يقولون إن مسيلمة نبي، قلنا: هذا هو المطلوب؛ إذا كان مَن رفعَ رجلاً إلى رتبة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كفر وحل ماله ودمه ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف أو صحابيًا أو نبيًا إلى مرتبة جبار السماوات والأرض، سبحان الله، ما أعظم شأنه {كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ}.

الشَّرح:

قوله " **فإن قال إنهم يقولون إن مسيلمة نبي**" **يعني**: ادعى النبوة.

يقول: قلنا: هذا هو المطلوب. إذا كان رفع رجلًا إلى رتبة النبي ﷺ جعله مساو للنبي ﷺ كفر وحل دمه وماله ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة فكيف بمن رفع شخصًا إلى رتبة الله وصار يدعوه من دون الله وين له ويذبح له أيهما أشد؟ الذي يرفع رتبة مخلوق إلى مساواة الخالق، فإذا كان الذي يرفع شخص إلى رتبة النبي ﷺ يكفر؛ فكيف الذي يرفع شخص إلى أن يكون بمنزلة الله ﷻ، ولذلك قال:

"**فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف أو صحابيًا أو نبيًا إلى**

مرتبة جبار السماوات والأرض" شمسان وتاج أناس معروفين فِي زمن الإمام فِي نجد وفِي غير نجد، ولهم مسميات عديدة تعبد من دون الله.

سئل الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عن يوسف وشمسان وتاج فأجاب: يوسف وشمسان وتاج أسماء الناس كفرة طواغيت؛ فأما تاج فهو من أهل الخرج، تُصَرف إليه النذور، ويُدعى ويُعتقَد فيه النفع والضر، وكان يأتِي إلى أهل الدرعية من بلده الخرج لتحصيل ما له من النذور، وقد كان يخافه كثير من الناس الذين يعتقدون فيه، وله أعوان وحاشية لا يُتعَرَّض لهم بمكروه، بل يُدَّعى فيهم الدعاوى الكاذبة وتنسب إليهم

الحكايات القبيحة؛ ومما ينسب إلى تاج أنه أعمى ويأتي من بلده الخرج من غير قائد يقوده.

قال المُصنّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

ويقال أيضًا: الذين حرقهم علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالنار كلُّهم يدّعون الإسلام، وهم من أصحاب علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وتعلموا العلم من الصحابة، ولكن اعتقدوا فِي علي مثل الاعتقاد فِي يوسف وشمسان وأمثالهما. فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم؟! أتظنون أن الصحابة يكفِّرون المسلمين؟ أتظنون أن الاعتقاد فِي تاج وأمثاله لا يضر والاعتقاد فِي علي بن أبي طالب يُكَفِّر؟ ويقال أيضًا: بنو عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر فِي زمان بني العباس كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول



الله، ويدعون الإسلام ويصلون الجمعة والجماعة، فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم وأن بلادهم بلاد حرب، وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين. ويقال أيضًا: إذا كان الأولون لم يكفروا إلا أنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول والقرآن وإنكار البعث وغير ذلك فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب (باب حكم المرتد) وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه؟ ثم ذكروا أنواعًا كثيرة، كلُّ نوع منها يكفِّر ويُحِلّ دم الرجل وماله، حتى إنهم ذكروا أشياء يسيرة عند مَن فعلها مثل كلمة يقولها بلسانه دون قلبه أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب. ويقال أيضًا: الذين قال الله فيهم: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ﴾ أما

سمعت الله كفرهم بكلمة مع كونهم في زمن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويجاهدون معه ويصلون ويزكون ويحجون ويوحدون؟

وكذلك الذين قال الله فيهم: {قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} . فهؤلاء الذين صرَّح الله أنهم كفروا بعد إيمانهم وهم مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غزوة تبوك قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح.

فتأمَّل هذه الشبهة، وهي قولهم: تكفِّرون من المسلمين أناسًا يشهدون أن لا إله إلا الله ويصلون؛ ويصومون ثم تأمل جوابها؛ فإنه من أنفع ما فِي هذه الأوراق. ومن الدليل على ذلك أيضًا ما حكى الله تعالى عن بني إسرائيل مع إسلامهم



وعلمهم وصلاحهم أنهم قالوا لموسى: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ} وقول أناس من الصحابة: "اجعل لنا ذات أنواط" فحلف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن هذا مثل قول بني إسرائيل لموسى: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا} .

الشَّرح:

وهذه الشبهة التاسعة؛ المصنف ذكر أمثلة كثيرة خلاصتها يقول: أنكم تكفرون المسلمين وتجعلوننا مثل المشركين الأولين نحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، نقيم الصلاة، نصدق بالبعث إلى آخر ما ذكر.

فالمصنف أجاب عنها تسعة أجوبة بيّن فيها أن هذه



الفروق غير مؤثرة بالكتاب والسنة والإجماع؛ بل هذه الخصال والفروق مما يتغلظ بِها كفرهم، من وُجد منه مكفر بأن صدّق الرسول فِي شيء وكذبه في شيء، أو رفع المخلوق إلى رتبة الخالق أو غلا فِي أحد من الصالحين فادّعى فيه الألوهية أو خالف الشريعة فِي أشياء مثل استحلال نكاح الأختين أو وجد منه نوع من أنواع الردة، أو استهزأ باللّه أو آياته فهو مرتد؛ فليس من شرط الردة أن يجمع أطراف الردة أو يجمع الشركيات، أو أن رب العالمين ومعبوده واحد فِي جميع ما يستحق

فإن الردة ردتان:

ردة مطلقة: وهي الرجوع عما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جملة .



والثانية: أنه يكفر ببعض ما جاء به الرسول إذا تركه غير معتقد لوجوبه.

فهذه التي ذكروها الآن يفهم منها أن الإنسان ما يكفر مهما فعل، وأبواب الردة التي ذكرها الفقهاء من سب الله، من سب الرسول، مسائل كثيرة من استهزأ بالدين، من استهزأ بالرسول، من استهزأ بشيء من شعائر الدين، من استحل المحرمات، من استحل ترك الواجبات، بإجماع أهل العلم أنه يكفر .

فإذن ما ذكر من فروق ليست مؤثرة ولا يعني تقدح فِي الرد عليهم كما ذكرنا، لكن نريد أن نقف قليلًا؛ لأن المصنف قال: "ومن الدليل على ذلك أيضًا ما حكى

الله تعالى عن بني إسرائيل مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم أنّهم قالوا لموسى: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ} وقول أناس من الصحابة: "اجعل لنا ذات أنواط" فحلف رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن هذا مثل قول بني إسرائيل لموسى: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا}.

قال المُصنّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

ولكن للمشركين شبهة يدلون بِها عند هذه القصة وهي أنّهم يقولون: إن بني إسرائيل لم يكفروا بذلك وكذلك الذين قالوا للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اجعل لنا ذات أنواط لم يكفروا.

فالجواب أن نقول إن بني إسرائيل لم يفعلوا وكذلك



الذين سألوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يفعلوا، ولا خلاف أن بني إسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا، وكذلك لا خلاف أن الذين نَهاهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نَهيه لكفروا. وهذا هو المطلوب.

الشَّرح:

يعني: هم يعترضون بشبهة وهي أنّهم يقولون: أن بني إسرائيل لم يكفروا بذلك "**اجعل لنا إلها**"، وكذلك الذين قالوا للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "**اجعل لنا ذات أنواط**" والجواب أن عدم كفرهم لا من قصور أن يكون كفرًا.

وكذلك الذين سألوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ بل استحسنوا شيئا وطلبوه؛ لكنهم لم يفعلوه، لو فعلوه لكفروا يعني: لو عكفوا على القبور، وكذلك لو اتخذوا إلها لكفروا؛ هذا لا ينازع فيه أحد، ولا ينفع اتباع الرسول والأعمال الأخرى إذا خالفوا فِي شيء معلوم من الدين بالضرورة؛ فعدم كفرهم ليس من قصور العمل عن أن يصل إلى التكفير، ليس من قصور العمل الذي ذكروه أن يصل إلى التكفير، يعني: أن وجه احتجاجنا هو بتقدير الفعل لو صدر هذا الفعل منهم لكان كفرا فكان احتجاجًا فِي محله؛ لكنهم لم يفعلوا، وإلا لفعلوه لكان كفرًا وهذا هو المطلوب.

يسلم لنا الاحتجاج بالقصتين، هم ذكروا قصتين وقالوا:



مـا كفـروا، طيـب؛ هـل فعلـوا؟ مـا فعلـوا، لـو فعلـوا لكفروا.

قال المُصنّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

ولكن هذه القصة تفيد أن المسلم بل العالم قد يقع فِي أنـواع من الشرك لا يدري عنها؛ فتفيـد الـتعلُّم والتحـرُّز، ومعرفة أن قـول الجاهـل: التوحيـد فهمنـاه. أن هـذا مـن أكبـر الجهـل ومكائد الشيطان.

وتفيد أيضـًا أن المسلم المجتهد إذا تكلم بكـلام كفـر وهـو لا يدري فَنُبِّهَ على ذلك وتاب مـن سـاعته أنـه لا يكفـر كمـا فعـل بنو إسرائيل والذين سألوا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وتفيد أيضـًا أنه لـو لـم يكفـر فإنـه يغلـظ عليـه الكـلام تغليظـًا



شديداً كما فعل رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

الشَّرح:

هذه القصة تفيد أن المسلم بل العالم قد يقع فِي أنواع من الشرك لا يدري عنها، فلا بد من التحرز وتعلم أسباب النجاة فإنه لا نجاة إلا بالعلم ومعرفة الطب والشر لغيره. يعرف الشرك أقسامه ووسائله، ذرائعه؛ ليسلم من الوقوع فيه. كما قال الشاعر:

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه

ومن لا يعرف الخير من الشر يقع فيه

ومعرفة هذا مهم أن قول الجاهل التوحيد فهمناه هذا



من أكبر الجهل ومكائد الشيطان، فهذه الكلمة يقول الشيخ محمد بن إبراهيم: " قد صدرت من بعض لمّا كثر التدريس فِي التوحيد، فسئموا وأرادوا القراءة فِي كتب أخرى، وقيل: إنه من المراسلين" يعني: ما هو من الطلاب، فنقم عليه المصنف فِي هذا القول يعني: أنك ما فهمته حتى الآن فقال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى ذلك لينبههم، ففي هذه القصة الرد عليهم فإن هؤلاء أهل علم وصدر منهم ما صدر فلا يُزهد فِي التوحيد، فقد سمعنا من الحزبيين من يقول: التوحيد نتعلمه فِي عشر دقائق! ومنهم من يقول: كتب العقيدة فيها جفاف! أو يقول: أنتم عقيدة عقيدة! توحيد توحيد! فلا يزهد فِي التوحيد، وما هلك من هلك ممن يدعي الإسلام إلا

بعدم إعطاء التوحيد حقه ومعرفته حق المعرفة، وظنوا أنه يكفي الاسم والشهادتان ولم ينظروا ما ينافيه وما ينافِي كماله هل هو موجود أو مفقود؟ وهذا كله من عدم التحرز ومعرفة ألفاظ التوحيد لفظة لفظة، من الذي عرِف التوحيد كل المعرفة؟ أصله ولله الحمد معروف، لكن له أقسام فروع شعب ضده الشرك، ومما يذكر عن المؤلف شيخ الإمام محمد عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى يختبر القوم أنه قال: يذكر البارحة أنه وجد رجل على أمه يجامعها، فاستعظم المحضر ذلك وضجوا منه الحاضرون، فرأوا أنه منكر كبير وهو كبير، ثمّ قال مرة أخرى: أن واحدًا أصيب بمرض شديد، فقيل له: اذبح دُييّكًا يعني: تصغير ديك لفلان الولي فلم يستعظمه ما

استعظموا الأمر، ثم بيّن لهم أن الأول فاحشة يبقى معها التوحيد، والآخر ينافِي التوحيد كله، وهذا لم تستعظمه مثل ذلك، وهذا هو الواقع من كثير من الناس فإن النفوس تستبشر أشياء أعظم من استبشارها ما هو من ضد التوحيد، وأيضا ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى أن المسلم المجتهد إذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدري، فنبه على ذلك وتاب من ساعته أنه لا يكفر كما فعل بني إسرائيل، والذين سألوا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وتفيد أيضًا أنه لو لم يكفر فإنّه يغلظ عليه الكلام تغليظًا شديدًا كما فعل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي انكاره على أولئك فِي قولهم: "**اجعل لنا ذات أنوار كما لهم ذات أنوار**".

قال المُصنّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

ولهم شبهة أخرى: يقولون إن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنكر على أسامة قتل من قال لا إله إلا الله وقال: "أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله" وكذلك قوله: "أُمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله" وأحاديث أُخَر فِي الكفِّ عمن قالها.

ومراد هؤلاء الجهلة أن من قال: لا إله إلا الله لا يُكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعلوا هؤلاء الجهلة مقرون أن من أنكر البعث كفر وقُتل ولو قال لا إله إلا الله، وأن من جحد شيئًا من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قالها، فكيف لا تنفعه إذا جحد شيئًا من الفروع وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أصل دين الرسل ورأسه؟! ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث.



فأما حديث أسامة فإنه قتل رجلاً ادَّعى الإسلام؛ بسبب أنه ظن أنه ما ادَّعاه إلا خوفًا على دمه وماله، والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكفُّ عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك. وأنزل الله فِي ذلك: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا} أي: فتثبَّتوا فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبُّت، فإن تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل لقوله تعالى: {فَتَبَيَّنُوا} ولو كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للتثبُّت معنى. وكذلك الحديث. لآخر وأمثاله معناه ما ذكرناه أنَّ مَن أظهر الإسلام والتوحيد وجب الكف عنه إلى أن يتبين منه ما يُناقِض ذلك. والدليل على هذا أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي قال: "أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟ " وقال: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله" هو الذي قال فِي الخوارج: "أينما لقِيتُمُوهم فاقتلوهم. لئن أدركتُهم

لأقتلنَّهم قتل عاد" مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلاً، حتى إن الصحابة يحقرون صلاتهم عندهم، وهم تعلموا العلم من الصحابة، فلم تنفعهم لا إله إلا الله ولا كثرة العبادة ولا ادعاء الإسلام لمَّا ظهر منهم مخالفة الشريعة. وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود وقتال الصحابة بني حنيفة. وكذلك أراد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يغزو بني المصطلق لما أخبره رجل أنهم منعوا الزكاة حتى أنزل الله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} وكان الرجل كاذبًا عليهم. فكل هذا يدل على أن مراد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأحاديث التي احتجوا بها ما ذكرناه.

الشَّرح:

وهذه الشبهة العاشرة، والجواب أنها لا تدل على ما زعم المشبه من أن مجرد قول لا إله إلا الله يمنع من التكفير؛ بل يقولها ناس كثير وهم كفار، إما لعدم العلم بمعناها أو عدم العمل بمقتضاها، أو وجود ما ينافيها ومثّل لذلك بأن اليهود يقولونها، وأصحاب مسيلمة الذين قاتلهم الصحابة، وكذلك الذين حرقهم علي رضي الله عنه، فقولها باللسان لا يكفي فِي عصمة الدم والمال، لكن ما الفرق بين هذه الشبهة والشبهة التي قبلها؟ أمّا الأولى فلمّا. ذكر المصنف أن مشركي زماننا

أغلظ شركًا من الأولين بأمرين اعترضوا عليه بِهذه الشبهة وهذه الفروق قالوا: نحن نشهد أن لا إله إلا الله فكيف تجعلنا مثل أولئك؛ بل ما قصرتمونا عليهم بل زدتمونا بِهذين الأمرين، فأجاب المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى بقوله فِي جميع الشبه: أن من وجد منه مكفر بأنّ كان مصدقًا الرسول فِي شيء، ومكذبه فِي شيء أو وجد منه مكفر بأن رفع المخلوق فِي رتبة الخالق أو وجد منه مكفر بأن غلب أحد الصالحين فادعى فِي الألوهية أو وجد منه مخالفة للشريعة فِي أشياء مثل إباحة نكاح الأختين جميع، أو وجد منه أشياء مكفر بأي نوع من أنواع الردة، أو وجد منه مكفر بأن استهزأ بالله أو آياته، وحاصلها أنّ من وجد منه مكفر فهو مثلهم وهو معه،

فهذه الفروق يشهد أن لا إله إلا الله إلى آخر ما ذكر، وأما الثانية فهي أنّهم يقولون: أن من قال لا إله إلا الله فهو مسلم حرام الدم والمال بدليل قصة أسامة، فأجابَهم المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى: بأن من أظهر الإسلام والتوحيد وجب الكف عنه إلى أن يتبين منه ما يخالف ذلك، فإن تبين منه ما يخالف ذلك؛ قُتِل، ولو قالها حتى يعمل بما دلت عليه.

قال المُصنّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

ولهم شبهة أخرى وهي ما ذكر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم، ثم بنوح، ثم بإبراهيم، ثم بموسى، ثم بعيسى، فكلهم يعتذرون حتى ينتهوا إلى رسول الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ". قالوا: فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركًا. فالجواب أن نقول: سبحان من طبع على قلوب أعدائه؛ فإن الاستغاثة بالمخلوق على ما يقدر عليه لا ننكرها كما قال الله تعالى فِي قصة موسى: {فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ} وكما يستغيث الإنسان بأصحابه فِي الحرب، وغيرها من الأشياء التي يقدر عليها المخلوق. ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء أو فِي غيبتهم فِي الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله.

الشَّرح:

الجواب واضح! حتى أنّ المصنف استغرب يقول:



سبحان من طبع الله على قلوب أعدائه، فحال بينه وبين معرفة الفرق بين هذه الاستغاثة وهذه الاستغاثة. فصاروا لا يبصرون الشمس برابعة النهار، فلم يفرقوا بين الشرك والتوحيد، فهذا شيء وهذا شيء، وبينهما فرق فِي الكتاب والسنة وفرق فِي الحكم؛ لأن هذا يأتي إلى مخلوق فيما يقدر عليه ويطلب منه، وهذا ما ينكره أحد، أمّا هم يطلبونه فِي حال غيبته أو فِي حال موته فِي حال لا يقدر عليها إلا الله.

قال المُصنّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

إذا ثبت ذلك فالاستغاثة بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدعوا الله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من

كرب الموقف، وهذا جائز فِي الدنيا والآخرة؛ أن تأتي عند رجل صالح حي يجالسك ويسمع كلامك وتقول له ادعُ الله لي. كما كان أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسألونه في حياته. وأما بعد موته فحاشا وكلا أنهم سألوه ذلك عند قبره؛ بل أنكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره فكيف بدعاؤه نفسه.

الشَّرح:

نعم، كما قالت أم أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقال يا رسول الله: خويدمك أنس "ادع الله له"، وكما قال عكاشة بن محسن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "ادع الله أن يجعلني منهم" يعني: أهل الجنة. فيقول المصنف: أما بعد موت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فحاشى وكلا أنّهم سألوه ذلك عند قبره بل أنكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره. فكيف دعاؤه نفسه؛ بل أنكر السلف على من قصد دعاء الله وحده مخلصًا عند قبره. **يعني**: قبر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يظنه أجود كما أنكر علي بن الحسين وهو أعلم أهل البيت فِي زمانه على من أتى قبر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يدع الله وقال: ألا أحدثك حديثًا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أنه قال: لا تتخذوا قبري عيدًا ولا بيوتكم قبورًا وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم"، فكيف دعاء الذي نفسه إذا كان هذا إنكار السلف على من قصد دعاء الله وحده لا شريك له عند قبر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فكيف دعاء نفسه؟ كيف لو وجدوه يدع

النبي نفسه؟ فإنّهم يكونون أشد إنكارًا، فأما الأول: بدعة ولا يجوز، و أما الثانِي: فهو الشرك الأكبر؛ لأنه صدر منه العبادة وهو دعاء غير الله فما ظنك لو سمعوا من يقول: انصرنِي أو ارزقني!

قال المُصنّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

ولهم شبهة أخرى وهو قصة إبراهيم عليه السلام لما ألقي فِي النار اعترض له جبريل فِي الهواء فقال: ألك حاجة؟ فقال إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: أما إليك فلا. قالوا: فلو كانت الاستغاثة بجبريل شركًا لم يعرضها على إبراهيم.

الشَّرح:

فالجواب أن هذا من جنس الشبهة الأولى؛ فإن جبريل عرض





عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه؛ فإنه كما قال الله فيه: {شَدِيدُ الْقُوَى} فلو أذن الله له أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها من الأرض والجبال ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل، ولو أمره أن يضع إبراهيمَ في مكان بعيد عنهم لفعل، ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل.

وهذا كرجل غني له مال كثير يرى رجلاً محتاجًا فيعرض عليه أن يقرضه أو أن يَهَبَ له شيئًا يقضي به حاجته فيأبى ذلك الرجل المحتاج أن يأخذ ويصبر حتى يأتيه الله برزق لا منَّةَ فيه لأحدٍ فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك {لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ} .

الشَّرح:



وهذه الشبهة الثانية عشر، استدلالهم على أن الاستغاثة بالأموات والغائبين ليست شركًا لماذا؟ قالوا: بعرضها إبراهيم من جبريل. عرضها إبراهيم لما قال له جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ألكَ حاجة؟ قال: أما إليك فلا، قالوا: كونه يعرضها جبريل هذا يدل على أن الاستغاثة بالأموات ليست شركًا. والجواب: أن هذه الاستغاثة جنس لأنَّها من مخلوق يقدر على ذلك وهذا الشخص يطلب منه ما يقدر عليه، وتلك جنس الآخر الذي هي طلب الشفاعة من الموت أو الغائبين فمن سوّى بينهما فقد سوّى بين المتباينين.

قال المُصنّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

ولنختم الكلام إن شاء الله تعالى بمسألة عظيمة مهمة جداً



تُفهم مما تقدم، ولكن نُفرِد لها الكلام لعظم شأنها ولكثرة الغلط فيها فنقول: لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، فإن اختل شيءٌ من هذا لم يكن الرجل مسلمًا.

الشَّرح:

ختم المصنف رحمة الله عليه بِهذه المسألة مما تقدم من أجوبة الشبهات السابقة مجموع جواب الشبهات السابقة يكفي؛ لكن متفرق فيها لكن جمعها هنا ليختم بِها وإفرادها يكون أوعى لها وأحفظ وإلا هي ذكرت فِي الواجب عمومًا وهنا خصوصًا و أفرد لها الكلام هنا لعظم شأنها؛ لأنّها عظيمة جدًّا، فقوله هنا "لا خلاف"

بـل هـذا إجمـاع أن التوحيـد لابـد أن يكـون بالقلـب واللسان والعمل فلابد من الثلاثة، لابد أن يكون هو المعتقد فِي قلبه. ولابد أن يكون هو الذي ينطق به لسانه، ولابد أن يكون هو الذي تعمل به جوارحه فإن اختل شيء من هذا لو وحد بلسانه دون قلبه ما نفعه توحيده، ولو وحّد بقلبه وأركانه يعني: جوارحه دون لسانه ما نفعه ذلك، ولو وحّد بأركانه دون الباقي لم يكن الرجل مسلمًا هذا إجماع أن الإنسان لابد أن يكون موحدًا باعتقاده ولسانه وعمله؛ لأن توحيد القلب يتبعه توحيد القول والعمل يعني: أنه لابد أن يكون الإنسان موحدًا بقلبه وقوله وعمله، فإن كان موحدًا بقلبه ولكن لم يوحد بقوله أو بعمله، فإنه غير صادق فِي دعواه؛ لأن

توحيد القلب يتبعه توحيد القول والعمل. لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "ألا وإن فِي الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب".

فإذا وحد الله كما زعم بقلبه ولكن لم يوحده أو فعله فإنه من جنس فرعون الذي كان مستيقنا بالحق عالمًا به؛ لكنه أصر وعاند وبقي على ما كان عليه من دعوة الربوبية. قال تعالى: "وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا" (النمل_١٤)، وقال عن موسى أنه قال لفرعون "لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ "(الإسراء_١٠٢).

قال المُصنّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند كفرعون وإبليس وأمثالهما، وهذا يغلط فيه كثير من الناس؛ يقولون: هذا حق، ونحن نفهم هذا ونشهد أنه الحق، ولكن لا نقدر أن نفعله، ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم، وغير ذلك من الأعذار. ولم يدرِ المسكينُ أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار كما قال تعالى: {اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلاً} وغير ذلك من الآيات كقوله: {يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ} .

الشَّرح:

هذه أمثلة ذكرها المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى، وهذه أمثلة اختلال واحد من هذه الثلاثة أن عرف ولم يعمل به فهو



كافر معاند إذا اعتقد ولا نطق ولا عمل بالحق بأركانه فهذا كافر عند جميع الأمة كفرعون. قَالَ "لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ"، وكذلك إبليس يعرف الحق كما قال:" قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (الحجر_٨٢)،وقال: "رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي"، فكفرهما كفر عناد فإنّ فرعون وإبليس يعرفان الحق فِي الجملة، وقد ينطقون به وبعض الكفر يكون على جهل وعدم بصيرة وأمثالهم كعلماء اليهود "أمة الغضب" وأمثالهم ممّن يعلم الحق ولا يعمل به المقام "مقام التوحيد"، وأنه لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل هذا يغلط فِي كثير من الناس من إذا نعت له التوحيد أن وصف له يقولون: هذا حق، ونحن نفهم هذا ونشهد أنه الحق،

وهذا الذي ندين الله به، لكن يعتذروا يقولون: لا نقدر أن نفعله لا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم **يعني**: ما يوافقون أهل بلدهم عليه وغير ذلك من الأعذار التي اعتذر بِها **يعني**: ليس عن جهل بِها ما جاحدوها لكن ما عملوا بِها أثروا العاجل على الأجل ولم يدر المسكين، والمسكين **يعني**: ما عنده فهم فِي الدين، كما قال تعالى: "**اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلًا**" (التوبة_٩)، ففِي هذا أنّهم عرفوا الحق وإنما أفتهم شهوتهم وإيثار عاجلهم على أجلهم، وغير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى.

قال المُصنّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:



فإن عمل بالتوحيد عملاً ظاهراً وهو لا يفهمه أو لا يعتقده بقلبه فهو منافق، وهو شرٌّ من الكافر الخالص {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ}.

الشَّرح:

يعني: جرى على لسانه وعملت به أركانه وهو لا يفهمه أو لا يعتقده بقلبه أو فهمه ولكن ينقذ بجنانه فهو منافق وهو شر من الكافر الخالص. فإن الكافر الخالص أتى الشر من وجهه ولا خادع ولا دلّس ولا لبّس ولا خان، لكن المنافقين فِي الدرك الأسفل من النار تحت الكفار فهم أشر من الكفار، وفِي الشرع مخالفة الظاهر للباطن هذا المنافق إما فِي الاعتقاد كمن يقول باللسان ويعمل

لكن مخالف بالجنان فهذا نفاق أكبر ناقل عن الملة، وقد ذكر الله فِي المنافقين ثلاثة عشر آية من سورة البقرة بخلاف الأصلي فإنه أهون كفرًا من المنافق والكفار الأصليون ذكروا فِي آيتين من سورة البقرة، والقسم الثاني: نفاق عملي ليس اعتقادي، وهو ما ذكر فِي الحديث "إذا حدّث كذب و إذا أؤتمن خان.."، وصاحبه لا يكون مثل الأول، وهو أعظم من الكبائر هذا النفاق فإن الجنس ما أتى به فِي النصوص بتسميته كفرًا أو نفاقًا، فهو أعظم ممّا أتى معصية متوعد عليها بوعيد.

قال المُصنّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

وهذه المسألة مسألة كبيرة طويلة تبين لك إذا تأملتها فِي ألسنة الناس ترى من يعرف الحق ويترك العمل به لخوفِ



نقص دنيا أو جاهٍ أو مداراة، وترى من يعمل به ظاهراً لا باطنًا فإذا سألته عما يعتقد بقلبه فإذا هو لا يعرفه.

ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله: أولاهما ما تقدم من قوله تعالى: {لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} . فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه المزح واللعب، تبيَّن أن الذي يتكلم بالكفر أو يعمل به خوفًا من نقص مال أو جاه أو مداراة لأحدً أعظم ممن تكلم بكلمة يمزح بها. والآية الثانية قوله تعالى: {مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْأِيمَانِ} فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أُكرِه مع كون قلبه مطمئنًا بالإيمان.

وأما غير هذا فقد كفر بعد إيمانه سواء فعله خوفًا أو مداراة



أو مشحَّة بوطنه أو أهله أو عشيرته أو ماله، أو فعله على وجه المزح، أو لغير ذلك من الأَغْرَاض، إلا المُكْرَه. والآية تدل على هذا من جهتين:

الأولى قوله: {إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ} فلم يستثن الله إلا المكره، ومعلوم أن الإنسان لا يكره إلا على العمل أو الكلام، وأما عقيدة القلب فلا يكره أحد عليها.

والثانية قوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ} فصرَّح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد أو الجهل أو البغض للدين أو محبة الكفر، وإنما سببه أن له فِي ذلك حظًا من حظوظ الدنيا فآثره على الدين.

الشَّرح:

قوله"**هذه المسألة** .." : يقصد مسألة التوحيد مسألة أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل هذه مسألة كبيرة طويلة جدًّا.

قوله" **تبين لك اذا تأملتها فِي ألسنة الناس**" **أي**: فِي أحوال الناس.

فيقول هذه المسألة مسألة كبيرة طويلة **يعني**: مسألة التوحيد، وكيف أنه لابد من ثلاثة أمور تكون بالقلب واللسان و الجوارح ومع ذلك كثير من الناس يخالفونَها ويتساهلون فِي هذا الأمر، فقد يخرج من الدين كله بكلمة ولو أتى بِها على سبيل المزاح، وأنه لم يعذر إلا

من ذكر الله ﷻ فِي قوله" مَن كَفَرَ بِاللهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ" قوله "إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ"، فلم يستثن الله ﷻ إلا المكره، ومعلوم أن الانسان لا يُكره إلا على العمل أو الكلام، أما عقيدة القلب فلا يكره أحد عليها، ومعلوم أن الإنسان لا يتصور فِي حقه الإكراه إلا بِهذين الأمرين (إلا على العمل أو الكلام، وأما عقيدة القلب فلا يكره أحد عليها) فإذا فعل وصدر منه الكفر فإنه كافر بعد إيمانه (والثانية) تقدم قول المصنف أنها تدل على ما قرره من جهتين وتقدمت الجهة الأولى وهذه الثانية (قوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا}) الباء للسبب، يعني ذلك بسبب محبتهم {الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ} [١] يعني الجنة (فصرَّح أن

هذا الكفر والعذاب) المحكوم به عليهم في هذه الآية والمترتِّب على ما صدر منهم (لم يكن بسبب الاعتقاد أو الجهل أو البغض للدين أو محبة الكفر، وإنما سببه) أي صدور الكفر منه، أنه تكلم بالكفر لسبب وهو أن له في التكلم بالكفر شيئًا واحداً، وهو (أن له في ذلك حظًا من حظوظ الدنيا) يحصل له فيرتكب هذا المحظور لأجل أنه لا يحصل له مطلوبه إلا -والعياذ بالله- بإيثار الحياة الدنيا (فآثره على الدين) على الآخرة.

فالإنسان الذي يُلجِئه من يُلجِئُه إلى أن يصدر منه الكفر له حالات:

أحدها: أن يمتنع ويصبر عليها، فهذه أفضل الحالات.



الثانية: أن ينطق بلسانه مع اعتقاد جنانه الإيمان، فهذا جائز له تخفيف ورحمة.

الثالثة: أن يُكرَه فيجيب ولا يطمئن قلبه بالإيمان؛ فهذا غير معذور وكافر.

الرابعة: أن يُطلب منه ولا يُلجَأ؛ فيجيب ما وصل إلى حد الإكراه ولكن يوافق بلسانه وقلبُه مطمئنٌ بالإيمان فهذا كافر.

الخامسة: أن يُذكر له ولا يصل إلى حد الإكراه، فيوافق بقلبه ولسانه فهذا كافر.

وختم المصنف كلامه بِهذه الجملة التي ذكرها أيضًا التوحيد وعدم التهاون به وأن الإنسان يحذر على نفسه



من مخالفة ذلك وهو قد لا يشعر، ولعلي أختم الكلام وإن أطلت عليكم قليلًا؛ نجد إذا تأملنا أن أهل السنة والجماعة وأذكره باختصار وضعوا قواعد وأصول تضبط النظر والاستدلال مجملها مجمل هذه الأصول، والقواعد خمسة:

القاعدة الأولى: أن الواجب على المسلم الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يجوز معارضة القرآن ولا السنة بأي نوع من أنواع المعارضة لا بتأويل ولا بذوق ولا وجد ولا منام ولا أحلام ولا رؤى يجب التسليم للكتاب والسنة والانقياد لما دلّ عليه الكتاب والسنة.

القاعدة الثانية: أن الواجب الأخذ بما دل عليه الكتاب والسنة بمفهوم السلف الصالح هذا الميزان الذي يفرق به بين أهل البدع وأهل السنة.

القاعدة الثالثة: الواجب الأخذ بما دلت عليه الحقيقة وبما دلّت عليه ظاهر الألفاظ فِي اللغة العربية وعدم صرفه عن الدليل الظاهر إلا بدليل يوجب؛ لأن الله ﷻ أنزل القرآن بلسان عربي مبين والنبي ﷺ بيّن ذلك فلا خذ بظاهر اللفظ على حقيقته على ما دلت عليه اللغة العربية ولا نصرفه عن الظاهر لا بدليل يوجب ذلك .

القاعدة الرابعة: أن الواجب على المسلم عمومًا وعلى



طالب العلم خصوصًا إذا أراد أن يستدل لمسألة أو لأمر من الأمور أن يستقرأ القرآن كله والسنة كلها فيا بمجموع ما دلت عليه النصوص، فينظر إلى النصوص مجتمعة وما دلت عليه ولا يضرب بعضها ببعض؛ بل يأخذ بمجموع ما دلت عليه النصوص لا يأخذ بطرف من النصوص، وأنه سبب من ضل فِي باب الإيمان هو الأخذ ببعض، ولو تأملت من ضل فِي هذا الباب كما ذكر شيخ الإسلام أن الناس فِي باب الإيمان ثلاثة طوائف: طرفان و وسط أهل الغلو والتكفير أخذوا بنصوص الوعيد بمعدل عن نصوص الوعد للإرجاء قابلوهم فأخذوا بنصوص الوعد بمعزل عن نصوص الوعيد، فنجد الطرفين المبعدين عن الحق عندهم

الإيمان شيء واحد عند أهل الغلو إذا ذهب بعضه ذهب كله عند أهل التفريط المرجئة إذا وجد بعضه وجد كله، لكن عند أهل السنة والجماعة لما نظروا فِي مجموع النصوص وجدوا أن النصوص تدل أن الإيمان يزيد وينقص، وأن الإيمان قول وعمل واعتقاد، وأن الإيمان قد يذهب وجاء فِي الحديث أن شعبة لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى من الطريق فخالفوا الطرفين المخالفين المتطرفين وأخذوا بنصوص بمجموع ما دلت عليه النصوص.

القاعدة الخامسة: هو ما ذكره الشيخ فِي الشبه اليوم وهو أن النصوص منها محكم، ومنها متشابه وأن أكثر النصوص هي من المحكم، وهناك نصوص متشابِهة



لحكمة الله، وأن الواجب هو رد المتشابه إلى المحكم وهذه طريقة أهل الحق، أما طريقة أهل الزيغ والضلال والانحراف فإنَّهم يردون المحكم بالمتشابه.

هذا ما أردت أن أذكره على سبيل الاختصار، وأسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يوفقنا وإياكم للعلم النافع والعمل الصالح، وأن يحسن عاقبتنا فِي الأمور كلها، وأن يجيرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

و صلَّى الله وسلّم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه آجمعين

